دراسات يسيرة في رحاب السيرة

السيد إبراهيم



نشر إلكترونيا في ١٤٣٨/ ، ٢٠١٧.



الإخراج الفني: أبرار الحازمي
تصميم الغلاف: دعاء خيري
التدقيق اللغوي: خيرية الألمعي

محتــويات الكتـــاب

دراسات يسيرة في رحاب السيرة

السيد إبراهيم أحمد

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران . ١٤٤)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعــد:
فهذا الكتاب يتناول مباحث هامة في تأصيل مسائل يتشابك فيها الفقه مع العقيدة مع السيرة المطهرة في إطار الالتزام بالنقل الصحيح وشيء من إعمال الفكر من أجل الخروج بقيم جديدة، ورؤى دقيقة من هذا الالتباس المصطنع أحيانًا في مسألة زيارة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

كما تعرض الكتاب إلى الإرهاصات التي سبقت رحيل الرسول صلى الله عليه وسلم وأثر ذلك على العامة والصحابة وعلى ابنته رضوان الله عليهم أجمعين، ليقدم بتحليل ـ غير مسبوق ربما ـ صورة جديدة غير الذي دأب الفكر الإسلامي على طرحها وبثها بشكل يكاد يكون محفوظًا من كثرة استهلاكه.

وفي الاقتتال الحادث بين المتصوفة والسلف حول الحياة البرزخية لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، يتناولها الكتاب منتصرًا جانب السلف بشيء من الحياد العلمي.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قلوبنا بدراسة المحبة والفداء بين من أحبه من الصحابة رضوان الله عليهم، وبين آخر وأصغر مسلم تظاهر دفاعًا عن سيده ونبيه صلى الله عليه وسلم ويفتديه بنفسه وروحه وبأمه وأبيه.

وفي ضرورة التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أولئك الذين ظنوا أن قدره الكريم مثل قدر أي أحد من البشر، بل فاقوا في تعظيمهم أناسٍ ما يساوون قلامة ظفره صلى الله عليه وسلم، فأغرقوهم بالألقاب والتفخيم، وأزالوا عن اسمه الكريم لقب السيادة، واستسهلوا فلم يكتبوا الصلاة والسلام عليه بعد اسمه الكريم صلى الله عليه وسلم.

إذن فهذا الكتاب يحتاج قراءة جادة بالقلب والعقل معًا وليس بالعاطفة وحدها؛ فربما تصور متصور من قراءة العنوان أنه كتاب تقليدي لايحتاج أكثر من قراءة عابرة ثم يصلي ويسلم على سيد الخلق أجمعين ثم يمضي إلى نومه أو عمله أو صلاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين.

السيد إبراهيم أحمد

بل الرفيق الأعلى

اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى، والمسلمون قد هالهم وقع الخبر فتلقوه بين مصدق له ومكذب، فالجزيرة و إن خلت من الشرك إلا أن الدولة الإسلامية مازالت فى أول عهدها، والإسلام لم يخرج من حدودها ليملأ آفاق الأرض، وهم قد تعودوا مقامه بينهم صلى الله عليه وسلم ، ولم تحدثهم أنفسهم آنفًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيغادرهم يومًا، برغم أن خطبته فيهم بعد ظهرالأربعاء السابق على وفاته بخمسة أيام قد أعلن فيها نبأ رحيله عن الدنيا، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده".

فلم يستقبل الرسالة إلا صديقه الصديق أبا بكر رضي الله عنه، فقد كان أفقه الصحابة رضوان الله عليهم وأعلمهم بمرامي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفحواه، فلم يفهموها إلا بظاهرها بأنها بشرى لرسولهم بزهرة الدنيا حتى أنهم تعجبوا من بكاء الصديق الذي أحسن تأويلها فبكى، فقد قال أبو سعيد الخدري: "فبكى أبو بكر، وقال: (فديناك بأبائنا وأمهاتنا)، فعجبنا له، فقال الناس: (انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا). فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخبر وكان أبو بكر أعلمنا"(١).

ولهذا استهول الفاروق وقع الصدمة بفراق الحبيب فهب مزمجرًا متوعدًا كل من تُسوِّل له نفسه ترديد مثل هذه الأراجيف قائلاً: "إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى، و إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات".

أما علي بن أبى طالب فقد أقعدته الصدمة فلم يعرف ماذا يفعل أو يقول، ولم يكن حال عثمان بن عفان أحسن حالاً من علي فقد ترك نفسه كالطفل الذى يؤخذ بيمينه حيثما وجهته توجه فلا تعرف من ملامحهما أصدَّقا النبأ أم كذباه.
ولم يكن الصديق رابط الجأش إلا أمام الناس، أمَّا أمام وجه الرسول فيبكى البكاء الثخين، فقد أقبل رضى الله عنه على فرسه من مسكنه حين علم بالخبر

فنزل ودخل إلى المسجد دون أن يكلم أحدًا، ثم دخل على عائشة ابنته فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مغشى بثوب حَبِرَة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: "بأبي أنت وأمي، لايجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتَّهَا".

ولم يلبث أن خرج ولا زال عمر على حاله يكلم الناس دَهِشًا مذهولاً، فخاطبه أبو بكر: "اجلس يا عمر"، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر:

(أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا صلى الله عليه وسلم، فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (٢). إن الله عَمَّرَ محمدًا صلى الله عليه وسلم وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد في سبيل الله ثم توفاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء؛ فمن كان الله ربه فإن الله حَيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا ويُنزله إلهًا فقد هلك إلهه؛ فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فان دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومُعزٍ دينه، وأن كتاب الله بين أظهرنا، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يبغينَّ أحد إلا على نفسه) ...ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: " فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ، وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرتُ ـــ أي: تحيرتُ ودهشتُ ـــ حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مات".

وقال ابن عباس: "والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها".

وواقع الأمر أن ما يُحْسَب لأبي بكرٍ الصديق هو حسن استهلاله واستشهاده بالآيات البينات القاطعات بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس إلا بشر من البشر وإن اصطفاه الله نبيًا تجري عليه مشيئته كما جرت على من سبقوه من الأنبياء ومن البشر الذين ماتوا قبله والبشر الذين سيموتون بعده، وأن رسول الله الأحبُ لله منكم كتب عليه الموت حبًا وحكمًا، ليرد المسلمين إلى إيمانهم الصادق الخالص بالله ورسالته التى بلغها لهم نبيهم، ليكون إيمانهم المطلق بالله الباقي الحى الذى لايموت سبحانه، ومن ثم ينفي الخلود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات القرآن وهو كلام الله بذلك، لتعود لنبينا محمدٍ بشريته التى أكد عليها القرآن الكريم وأكد عليها مرارًا وأبدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفي حتى بموته أى محاولة ترفعه عن هذا، وهنا تتجلَّى روعة الإسلام الَّذي رَقَىَ أتباعه من التعلُّق بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التعلُّق بالمُرسِل عز وجل ومصدر الرسالة، فكانت صلتهم بالله تعالى صلة وثيقة يتطلَّعون إليها، وعروة وثقى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين خالقهم فتمسَّكوا بها. هكذا استطاع الصديق أن يهدأ النفوس المروَّعة الملتاعة وأولهم عمر، ولو لم يفعل غير الذي فعل لربما كانت تلك اللحظة لحظة فارقة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

ولهذا قال القرطبي: "هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجراءة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم عمر، وَخَرَسَ عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح(٣).

ناقش العقاد (٤) أثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في تباين ردود أفعال الفاروق والصديق رضي الله عنهما، فقال: (في حياة الصاحبيْن موقف من المواقف

النادرة التي يظهر فيها الرجل كله، ولايتفق في التجارب النفسية أن يواجهها الإنسان مرتين في حياته، وهو الموقف الذي فاجأهما بموت النبى عليه السلام. ليس للصاحبيْن غير صديق واحد بمنزلة محمد عندهما من المحبة والتّجلَة، وهما لايروَّعان كل يوم بنبأ فاجع يسوءهما كما يسوءهما نبأ موته وانقضاء عشرته والأنس بقربه. فالموقف نادر، والبلية به خليقة أن تبتلي الرجل في كل ما ينطوي عليه من بديهة وروية.. وابتلى به عمر فغضب غضبته المرهوبة وصار بالنعاة يتوعدهم ليقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن محمدًا قد مات. غضب غضبة الرجل المملوء بقوته وحميته، الذي لم ينبهه منبه قط إلى ترويض غضبه والمبالاة بعواقب ثورته، وكأنما قام فى دخيلة نفسه أنه يستكثر حتى على الموت أن يجترىء على الصديق الذي يحبه ذلك الحب، وَيُجلَّه تلك التجلة، ويعتقد فيه تلك العقيدة، وينتظر حتى من الموت أن يتحامى جانب ذلك الصديق، ويرعى له حرمة لايرعاها لسائر الأحياء.

وأبو بكر يحب محمدًا كما يحبه عمر، ويأسى لفراقه كما يأسى، ويرفعه مثله درجات فوق مقام الأحياء من قبله ومن بعده، ولكنه رجل رَاضَ نفسه وقمع حدة طبعه، وعرف الصبرعلى ليس مايدفعه دافع ولاتغنى فيه حيلة، فإن كان تسليم فهذا أحق المواقف بالتسليم وأولاها بطول ما ارتاض عليه من صبر، وما تأهب له من أسوة. بذلك أدى كل من الرجلين ضريبة طبعه ومزاجه الذي لا معدى له عن مطاوعته والاستجابة لدواعيه. ثم زالت الغاشية الأولى. فظهر الرجلان في حالة القرار كما ظهرا في حالة المفاجأة: ظهر أن عمر لم يكن كله ثورة، بل كان فيه إلى جانب الثورة روية تفرغ للأمر في أحرج أوقاته، وظهر أن أبا بكر لم يكن روية كله، بل كانت فيه إلى جانب الروية مطاوعة لسليقة الحب والألفة قد تشغله عن العواقب إلى حين).

يعلق ديدات (٥) على ردود أفعال الصحابة وعدم استجابتهم لحدث وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إن أعظم موقف يدل على عظمة الرجال الذين صنعهم صلى الله عليه وسلم في حياته هو موقفهم عند موته. لم يصدق أحد من الصحابة أن رسول الله قد مات. كيف ذلك؟ وهل ينقطع النور الواصل من السماء والأرض عن طريقه؟ وماذا سيفعل المسلمون من بعده؟).

لم تكن مكة عن أهوال الحدث ببعيدة عمَّا يحدث بالمدينة الحزينة؛ فقد أفقد وقع الصدمة عليهم بعضهم ففعل ما فعل عمر وظنوها فرية منافق، أو قول حاقد غير أن "سهيل بن عمرو" كان لها كأبي بكر الصديق فوأد الفتنة في وقتها فقام على باب الكعبة وصاح بالناس فاجتمعوا إليه فكان مما قال: (كنتُ أعلم أن هذا الدين سيمتد من طلوع الشمس إلى غروبها. فقالوا له: ومن أين علمت؟ قال: "إني رأيتُ رجلًا وحيدًا لا مال له ولا عز ــ يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ــ قام في ظل هذا البيت فقال: إني رسول الله، وإني سأظهر، فكنا بين ضاحك وهازل وراجم ومستجهل، فما زال أمره ينمى ويصعد حتى دِنّا له طوعًا وكرهًا، والله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في أيدي أي فتى من فتيان قريش".

نعم كان وقع المفاجأة على نفوس المؤمنين قويًا عظيمًا، فلا تزال ذاكرتهم تعي وتحفظ خطبته صلى الله عليه وسلم التى رددت سماء مكة صداها فى الأفق حتى وعتها جبالها ورمالها وكل الصحابة المائة والأربعة وأربعون ألف الذين وطئوا تلك الرمال وحجوا معه صلى الله عليه وسلم حجته الأخيرة فى السنة العاشرة من الهجرة، وكان من رحمة رسول الله بهم أن سرب نبأ رحيله تلميحًا فى خطبته كى لاينزعجوا عند وقوعه، وكانت من معجزاته فأنه لم يلقهم بعد عامهم هذا حيث قال صلى الله عليه وسلم:

"أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَّغْتُ. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ؛ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ، قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لا رِبًا وَإِنَّ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ بَنُو هُذَيْلٍ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ سورة التوبة آية ٣٧ وَيُحَرِّمُوا مَا

أَحَلَّ اللهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِّ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ سورة التوبة آية ٣٦ ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَلا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ؛ فَإِنَّ اللهَّ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ؛ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لا يَمْلِكْنَ لأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهَّ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِّ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ ، وَتَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِّ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ. أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ وَاعْقِلُوهُ؛ تَعْلَمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَلا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟"، قَالَ: فَذُكِرَ أَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ".

لم يزل المسلمون يتذكرون بكاء عمر عندما أُنزل على النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ت في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (٦). فقيل له: ما يبكيك؟ قال: "أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص٬ وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي صلّى الله عليه وسلّم قريبًا".

كما روى ابن أبي شيبة عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية:﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾، قال: يوم الحج الاكبر، قال: فبكى عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك؟""، قال: يا رسول الله! أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فإما إذا كمُل فإنه لم يكملْ قط شيءٍ إلا نقص، قال: "صدقت".

قال جابر رضي الله عنه: رأيتُ النبي صلّى الله عليه وسلّم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول:"لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلِّي لا أَحُجُّ بعد حجتي هذه"(٧).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وقف النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم النحر بين الجمرات... وقال: "هذا يوم الحج الأكبر"، وطَفِق النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم اشهد"، وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع (٨).

وقد ثبت أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يوم عرفة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي الحجة... لم تزل تضمخ آذانهم.

ولئن سرى فى بعضهم الإحساس بدنو رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إنهم لم يكونوا يتوقعون حدوث هذا سريعًا، فبين حجة الوداع ووفاته صلى الله عليه وسلم ليس إلا ثلاثة أشهر، لا تعطى إحساسًا صادقًا لمتوقع بقرب النهاية، ولهذا حتى عمر الذي سمع الآية ذاتها بل وسمع سورة النصر كذلك وعلم تفسيرها الصحيح هو وبعض من الصحابة المقربين من عمر رضي الله عنه وأرضاهم من ابن عباس رضي الله عنهما إلا أن أنهمً كانوا فى خبيئة نفوسهم مستبعدين سرعة تحقيقه، لإنهم فهموا من التفسيرأن هذا وإن كان لابد حادث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم لم يفترضوا له زمن ولم يتمنون ـ لحبهم لرسول الله ـ حدوثه أبدًا.

كما أن الصحابة أخذوا يفسرون آيات السورة تفسيرًا ظاهريًا، فقد كان الفرح والبشر والثقة تشيع فى الزمان والمكان تملأ النفوس حيوية وانبهارا. فقد كان الصحابة كما يقول خالد محمد خالد (٩): (لم يكونوا يعلمون أن الرسول نُعيِ إلى نفسه... فحتى الذين تليت عليهم سورة النصر، لم يفهموا منها مافهمه أبو بكر، وعمر، والعباس ـ رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين ـ .. لم يكونوا يدرون إلا أنهم فى مهرجان عظيم، يحتفلون فيه بانتهاء مناسك الحج كما ينعمون بنصر الله وفضله).

فقد روى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي ...عن ابن عمر قال:"نزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ في أوسط أيام التشريق فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم (١٠).

ــ حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جُبيرعن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا بن عباس ما تقول: قلت: مَثَلٌ ضُرِّبَ لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نُعِيتْ إليه نفسه.

ــ حدثنا ابن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفرقال: حدثنا شعبةعن أبي بشر عن سعيد بن جُبيرعن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدنيه، فقال له عبد الرحمن: إن لنا أبناءً مثلَه، فقال عمر: إنه من حيث تعلم، قال: فسأله عمرعن قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة، فقال ابن عباس: أجله، أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم.

ـ حدثنا ابن حُميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس، قال: قال عمر رضي الله عنه: ما هي؟ يعني: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال ابن عباس: إذَا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ حتى بلغ: وَاسْتَغْفِرْهُ إنك ميت إنَّهُ كانَ تَوّابا فقال عمر: ما نعلم منها إلا ما قلت.

ـ قال: ثنا مهران عن سفيان عن عاصم، عن أبي رزين عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، علم النبيّ أنه نُعِيتْ إليه نفسه، فقيل له: إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة.

ـ حدثنا أبو كرَيب وابن وكيع قالا: حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن



سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"نُعِيَتْ إليّ نَفْسِي، كأنّي مَقْبُوضٌ فِي تِلكَ السّنَةِ".

ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ﴾ ، قال: ذاك حين نَعَى له نفسه يقول: إذا رأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلونَ فِي دِينِ اللهِّ أفْوَاجا يعني إسلام الناس، يقول: فذاك حين حضر أجلُك فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا.

نعم بكى عمر وهو يسمع آية الإكمال والإتمام وأحس بفراسته دنو أجل الرسول فلماذا لما تحقق نسيَّ؟، يقول الشيخ ناصر الدين الدمشقى (١١): (نظر عمر إلى سنة الله تعالى من نقص الشيء بعد كمال إزدياده، وعلم أن نقصان الدين هو موت خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، فبكى لذلك وازداد نحيبًا، ووقع ما علمه عمر قريبًا، لكنه خفي عليه لما وقع بعد أيام، لينفرد الصديق بالتصديق قائمًا ذلك المقام).

بوادر رحيـــل الرسول صلى الله عليه وسلم
بين العامة والخاصة

إنَّ المتأمل لسير الأحداث يرى أن علم عمر بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاءت به الآيات هو العلم العام بأن نهاية الرسول حتمًا الموت لأنها نهاية كل حي، وهو كذلك علم العامة من صحابة رسول الله التى أحست بقرب الوفاة على وجه الإجمال من استقراء شواهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله مثل: عرض جبريل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم مرتين وكان يعرضه في كل عام مرة كما أسر بذلك لابنته فاطمة فقالت: "فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك".

وكذلك توديعه صلى الله عليه وسلم للأحياء والأموات: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلما كان ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد". [البقيع هو مدفن أهل المدينة].
وفي رواية أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: "فإن جبريل أتاني... فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم" قالت عائشة: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ قال: "قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" (١٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج يوماً فصلى على قتلى أُحد صلاة الميت بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع علي المنبر، فقال: "إنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا"، قَالَ عُقْبَةُ: وَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٣).

وربما عزز حدسهم فى أن مايفعله الرسول صلى الله عليه وسلم هو ولا شك الوداع هو صلاته صلى الله عليه وسلم على شهداء مضى على موتهم قرابة الثماني سنوات، وشهداء المعارك لايُصلى عليهم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.
يقول ابن حجر (١٤) تعليقًا على هذه الصلاة التى وردت بالحديث: "أما هذا الحديث فكأنه صلّى الله عليه وسلّم دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعًا لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم".
أما أبو بكر فقد علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيك الوفاة بالعلم الخاص، لأن عبارات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تدل على أن الأمر عُرِضَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار كما جاء فى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختارما عنده".

وما يؤيد أنها علم الخاصة أن العامة من الصحابة أكابرهم وأصاغرهم غُمَّت عليهم وفهموا من مراد رسول الله أن الله إنما عرض عليه الدنيا فاستبعدوا فكرة موته صلى الله عليه وسلم، بل لاموا الصديق حين بكى رضى الله عنه وعنهم أجمعين، وأصبح أبو بكرٍ وحده هو المُصدِّق بوفاة الرسول الوشيكة دونهم، وهذا ليكون أبا بكرٍ أول من صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حين ابتعثه الله رسولاً، وليكون أول من َصدَّق وفهم مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن بدنو أجله، لتتحقق بذلك مقولة: "لينفرد الصديق بالتصديق قائماً ذلك المقام".
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: "عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ". فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍوَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ"(١٥).
و ربما الذى أعان الصديق على فهم مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه كان يفهم مرامي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم هو ما كانت تعلمه بضعته وابنته السيدة عائشة رضى الله عنها ولعله سمعه منها من جملة العلوم التى

فقهتها من زوجها رسول الله حين قالت عند موت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخر،، فسمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة [شديدة] يقول: "مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا" (١٦) قالت: فظننته خير حينئذ(١٧).

ولئن سأل سائل ألم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم لعمر وبأنه محدث كما جاء فى الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر" (١٨).

فهذا الحديث كما جاء فى فتح الباري شرح النووي (١٩): تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدَّث. فقيل: المراد بالمحدث: الملهم. وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة... بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلماً في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام.

وفسره بعضهم بالتفرس، فقد قال ابن حجر (٢٠): "والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي صلى الله عليه وسلم عدة إصابات. وكون عمر رضي الله عنه اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق رضي الله عنه".

فقد قال ابن تيمية رحمه الله (٢١): "وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أعلم الأمـــة بالباطـن والظاهـــر، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد".

ولقد قال ابن القيم (٢٢): "ولا تظن أن تخصيص عمر- رضي الله عنه ت بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصديق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من



التحديث فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير".

كما قال(٢٣): "فإن اختلف أبوبكر وعمر، فالصواب مع أبي بكر، وهذه جملة لا يعرف تفصيلها إلا من له خبرة واطلاع على ما اختلف فيه الصحابة وعلى الراجح من أقوالهم".

وقد يتساءل أحدهم متعجبًا: وهل غُم على ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها أيضًا ليتحقق للصديق الفوز بهذا المقام؟! وكيف والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أسَّرَ إليها ثانية بعد حزنها على فراقه لما أخبرها بخبر عرض القرآن عليه مرتين في العرضة الأخيرة من جبريل مما يعنى رحيله، وبأنها ستكون أول أهله لحوقًا به فَسُرتْ بذلك حيث قالت: فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة"؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت" (٢٤) وفي رواية: "فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت"(٢٥) ؟!

ثم يستتبع التساؤل الأول تساؤلاً آخر: مع علمها اليقيني بوفاة والدها وأنها فرحت بلحوقها به، فلماذا فعلت ما فعلت عند علمها بوفاته وبعد دفنه صلى الله عليه وسلم؟!

وقبل الجواب نود أن نُقِرْ هنا بمقصودنا بمفاهيم العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة: بأنه يفارق ويزايل ذلك المعنى المتصور الذي أورده الإمام أبي حامد الغزالي في حديثه عن درجات الصوم الواردة في الفصل الثانى من كتاب أسرار الصوم من موسوعته إحياء علوم الدين (٢٦)، ويأتي أقرب في التصور تقسيم العلماء الرحمة المحمدية إلى عامة وخاصة؛ حين عرَّفوا الرحمة العامة: "بأنها التي تشمل سائر الخلائق ويدخل تحتها رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان"، وعرَّفوا الرحمة الخاصة: "بأنها الرحمة الخاصة بأمته صلى الله عليه وسلم".



وأنّما ماقصدتُ إليه من هذه المفاهيم من حيث قرب علاقة صاحب الحدث بالرسول صلى الله عليه وسلم القلبية، والمكانية حيث مكان الحدث، فحديث عمر كان في الحج ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الأمة فالعمومية هنا متوفرةٌ جدًا، أما في موقف الصديق فكان الخطاب في مسجد الرسول والحُضُور من المسلمين ـ بداهةً ـ أقل، فالخصوصية متوفرةٌ جدًا، أمَّا من حيث العلاقة القلبية فعامة المسلمين عامتهم قبل خاصتهم يعلمون موقع أبا بكر من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والأحاديث في هذا الباب كثيرة نورد منها، ما يلي:

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاتؤذوني في صاحبي، فإن الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، ولو أن الله سماه صاحبا لاتخذته صاحبا ولاتخذته خليلا ولكن أخوة لله، ألا! فسدوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة".

عن أبي الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلا غَرَبَتْ، عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ".

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي"، وفِي حَدِيثِ التَّمِيمِيِّ: "فَأَرَانِي الْبَابَ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وِدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "أَمَّا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي"(٢٧).

وحتى لانغمط الفاروق حقه ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نورد الحديث الذي رواه الخليفة الرابع علي رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ"(٢٨).

حديث خاصة الخاصة

نعود لما كنا قد بدأناه قبل هذا الاستطراد من التساؤل هل غُم على ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها مع علمها اليقيني بوفاة والدها وأنها فرحت بلحوقها به؟ إذن فلماذا فعلت ما فعلت عند علمها بوفاته وبعد دفنه صلى الله عليه وسلم؟!

لم يكن حديث السيدة فاطمة ـ رضى الله عنهاـ مع الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث كونها سيدة نساء العالمين مع سيد الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين والبشرأجمعين، ولكنه كان حديث الابنة الوحيدة والأب الموَدِع فى مرضه الأخير؛ فهو إذن حديث خاصة الخاصة حيث الحديث بينهما فى أعلى درجات السرية والكتمان حتى عن أقرب المقربين ولو أزواجه وإن كانت عائشة أول من سألت وامتنعت عن إجابتها فاطمة فى حياته ثم أفشت لها السر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فالحديث عائلى بالدرجة الأولى والأب المُغادر لايُصرح تلويحًا أوكناية عن رحيله بل يصارحها بأنه لامحالة ميت كما أنها لامحالة ستموت بعده ... إنها فاطمة ابنته الحبيبة التى بشرها صلى الله عليه وسلم وهو فى مرض الموت بأنها ستكون أول أهل بيته الكريم لحوقًا به فتضحك، بعدما كانت قبلها تبكي عندما أعلمها صلى الله عليه وسلم بحضور أجله حتى تعجبت السيدة عائشة وقالت: "مارأيتُ كاليوم فرحًا أقرب من حزن!" ... هل يستطيع أب أن يَزُف هذه البشارة لابنته الشابة البالغة من العمر ثمانٍ وعشرين سنة ولها من الذرية الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وهم صغار.. من سيرعاهم بعدها؟! يبشرها والدها وتفرح ولم تجفل ولم تجزع ولم تراجعه وتستعطفه بأن يدعو لها بطول العمر حتى تربى أفراخها الزغب، وتسعد أيامًا بالعيش مع صنو روحها زوجها الحبيب علي رضى الله عنه ألا يذَكِّرُنا هذا الموقف بأبي الأنبياء إبراهيم وابنه الذبيح سيدنا إسماعيل ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ نفس الرضا والتسليم مع الفارق في سير الأحداث.

فاطمة الزهراء سيدتنُا سيدة هذه الأمة أو سيدة نساء العالمين، ابنة رسول الله وحبيبته التى أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه حِبَهُ وحبيبه وابن حبيبه أسامة بن زيد مستشفعًا للمرأة المخزومية السارقة حتى لايقيم عليها حد السرقة ، فغضب من أسامة ثم جمع الناس صلى الله عليه وسلم فخطب فيهم فقال : "ياأيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم انهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٍ يدها "، والشاهد من العظمة ماقد لايلحظه أحدنا على إعتبار أنها ــ أى فاطمة ــ لن تسرق، ولكن يجب أن تعلم أن الخطاب كان على الملأ، ويجب علينا أن نثـق تمام الثقة لو أن ابنته فعلتها لأبر النبى صلى الله عليه وسلم بقسمه.

ولئن تعجبنا كيف أن الابنة لم يروِّعها النبأ بل سُرّت به فيما يمكن أن نسمي علاقة البنوة بالأبوة المتشابكة بين الزهراء وأبيها بأنها معجزة تُضاف لسيد الخلق حين نجح في أن يُهذب ويؤدب ابنته إلى هذا الحد الفائق من الطاعة حين لم ترد عليه مقالته، بل وجعلت نعيها بشارة فلم تغتم ولكن سُرَّت؛ ليس زهدًا في الحياة ولكن فرحًا بالمرافقة والمجاورة لأبيها فى رحلته الأخيرة عن الدنيا.

كما لم يكن هذا أنانية منها بترك زوجها وصغارها فقد أوصت بهم لمن بعدها ـ كما سيأتى ذكره ـ وغالبًا ما كانت تعرف من نبؤات أبيها بأن ولديها لن يُعمرا طويلًا، وكان من رحمة والدها بها ـ ربما ـ ألّا يُذيقها نار فراقهما فى حياتها كما تجرعها هو صلى الله عليه وسلم في أولاده وأخوتها وآخرهم إبراهيم آخر أبنائه من السيدة ماريا رضى الله عنهم جميعًا، فكم هو مؤلم على النفس والقلب فراق الأولاد فى حياة والديهم.

فلماذا فعلت ما فعلت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وعانت ماعانت من ألم الفاجعة وشدة المصيبة، وعظم النازلة بفقده عليه الصلاة والسلام حتى قالت عندما جاءها نبأ وفاته: "يا أبتاه.. أجاب ربًا دعاه، ياأبتاه.. مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه.. إلى جبريل ننعاه". وحين قالت لأنس بعد دفن الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب".

وعندما أخذت ترثي أباها قائلة:

أغبـر آفـــاق السماء فكورت		شمس النهار وأظلم العصـران
الأرض من بعد النبي كئيبـــة		أسفًا عليه كثيـرة الأحـــــزان
فليبكــه شرق العباد وغربهـــا		وليبكه مضـر وكـل يمانــــــي
وليبكـــه الطـود الأشم وجوده		والبيـت والأستـــار والأركـان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه		صلى عليك منزل القـــــرآن

وعندما قامت ترثى أباها عند قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها فبكت وأنشأت تقول:

ما ضر من قد شم تربة أحمد		ألا يشم مدى الزمان غواليـــا
صُبَّتْ عليَّ مصائب لو أنها		صبت على الأيام صرن لياليا

كيف لفاطمة ألا تفعل ما فعلت حتى لو علمت بأنها ستلحق بأبيها بعد دقائق معدودات؟! ولكن الأهم عندها أنه سيموت قبلها ولو بدقيقة، أن علاقة فاطمة بأبيها علاقة خاصة من حق المتعجب أن يتعجب لأنه يجهلها وإذا علمها دون أن يتعمقها ويُعايشها ويتعايش معها فما أحسها ولا علمها مادام لم يعاين وقائعها وأحداثها منذ ولادة فاطمة ومعاصرتها أحداث الدعوة وفراق الأحبة من الأهل ثم هجرة أبيها للمدينة وبقائها في مكة حتى استدعاها إليه.

فاطمة أصغر بنات الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كانت زينب الأولى، ثم رقية الثانية، ثم أم كلثوم الثالثة، ثم الزهراء الرابعة، وهي أطول أخوتها صحبة لأبيها صلى الله عليه وسلم فلم تتركه منذ ميلادها حين كانت قريش تبني بيتها أي قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وعمره آنذاك خمس وثلاثين سنة، ولطول صحبتها مزية لها كما أن لها ضريبتها القاسية التى دفعتها من سنوات عمرها وشبابها وصحتها فقد كانت بحق سيدة الصابرين التى تجرعت كؤوس الآحزان مترعات كأسًا كأسا؛ فقد مات أخويها القاسم وعبد الله ثم ماتت أمها ثم تتابعت الأحزان بوفاة أختيها: رقية يوم بدرفي العام الثامن من الهجرة وأم كلثوم في العام التاسع من الهجرة، وآخر من شيعت إبراهيم أصغر أخوتها من السيدة مارية، ثم عاشت لتشهد رحيل أعز وأعظم الناس قاطبةً الأب الحاني والبقية الباقية لها بعد موت الأم والأخوة والأخوات فزهدت في الابتسام ولقاء الناس بعده إذ ليس بعده عندها إلا أن يحين دورها في الرحيل لتلحق به صلى الله

عليه وسلم، فكانت بحق أم أبيها تلك الكُنية الفذة التي فازت بها دون بنات جنسها على الإطلاق وذلك لكونها عاشت مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت والدتها ترعى أموره وتشد أزره، كما كانت قريبةً منه أشد القُرب في معظم أوقات حياته، فلم تغب عن بصره ـ ربما ـ إلا ساعات خروجه من الدار، فقد كانت رضي الله عنها شديدة التعلق والاهتمام به ـ حتى بعد زواجها ـ كما كانت تحدّثه بما يُسلّي خاطره ويدخل الفرحة على قلبه برغم ما كانت تعانيه وتتحمله بثبات أهل الإيمان العميق.

إنها فاطمة... التى قلما فارقت أباها؛ فمنذ طفولتها والدعوة مازالت في بواكيرها كانت تخرج معه صلى الله عليه وسلم إلى الحرم، وذات مرة بينما كان ساجدًا أحاط به أُناس من مشركي قريش وجاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه حتى تقدمت ابنته فأخذت السلى ودَعتْ على من صنع ذلك بأبيها وعندئذ رفع المصطفى صلى الله عليه وسلم رأسه، قال: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ".. فخشع المشركون لدعائه وغضوا أبصارهم حتى انتهى من صلاته وانصرف إلى بيته تصحبه ابنته فاطمة وما هي إلا أعوام قليلة وترى فاطمة رضي الله عنها هؤلاء الملأ قتلى في بدر.

وكانت هناك لماخرج صلى الله عليه و سلم يوماً إلى قريش وقد نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فجعل ينادي : "يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا"، ثم اختص فاطمة من أولاده فخاطبها : "ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا".

تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن تعليقًا على هذا الموقف: (وخفق قلب فاطمة حنانًا وتأثرًا فهمستْ تقول: "لبيك يا أحب والد وأكرم داع".. فقد كانت رضي الله



عنها حتى الرمق الأخير من حياتها لاتمل من تلبيته وطاعته صلى الله عليه وسلم).

وهل غابت فاطمة عن أبويها في شعب أبي طالب حيث عاشت هناك في حصار أجهدها سنوات عديدة كما أنهك أمها السيدة خديجة رضي الله عنهما، ثم عادت من الحصار إلى مكة لتشهد موت أمها رضي الله عنها، ثم هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وبقيت فاطمة مع أختها أم كلثوم في مكة حتى جاءها من عند النبي صلى الله عليه وسلم من يصحبها إلى المدينة المنورة.

كما خرجت السيدة فاطمة رضي الله عنها لمداواة الجرحى وسقايتهم مع نساء المسلمين يوم أحد، ولما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انكسرت رباعيته وسال الدم على وجهه الشريف جرت عليه واعتنقته وأخذت تمسح الدم من على وجهه الشريف ولما وجدته لا يتوقف حرقت حصيرًا ومنعت به الدم فامتنع وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله"، ثم مكث ساعة ثم قال: "اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون"(٢٩).

إنها الشبيهة الحبيبة والتي شاءت إرادة الله تعالى أن يمد فى عمرها رضى الله عنها وأرضاها ليكون منها ـ دون إخوتها ـ النسل المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أعظم المناسبات التي أدخلت فيها الزهراء الفرحة على أبيها صلى الله عليه وسلم حين كان ينادي الحسن والحسين: يابَني، وكانا يدعوانه: يا أبت.

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم ينهض إذا دخلت عليه فاطمة فيقوم بتقبيل رأسها ويدها، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيتُ أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكانت إذا دخل عليها قامت إليه وأخذت بيده وقبلته وأجلسته في مجلسها"(٣٠) وكان لا ينام حتى يقبِّل عرض وجهها، وبين يديها، وكان يقول لها: "فداك أبوك كما كنت فكوني" (٣١)

حتى أنه كلما قدم من سفر بدأ بالمسجد، فيصلي ركعتين، ثم يذهب لفاطمة، ثم يأتي بيوت أزواجه.

كما أنها لم تتركه في أوقات مرضه الأخير في بيت السيدة عائشة وحتى وفاته صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وأرضاها.. ولهذا لم يطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعدَها عنه وكذلك لم تتحمل فاطمة بُعده عنها وذلك في أول أيام زواجها من علي رضي الله عنه حين أسكنها بيت أمه وكانت دارها بعيدة عن بيت النبوة، كما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات عن أبي جعفر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل منزلًا فطلب علي منزله حتى يسكن فاطمة فيه، وبنى بها فى بيت أمه فاطمة بنت أسد وكان ذلك بعيدًا عن بيت رسول الله وكانت تتمنى أن تكون من السكن بقرب أبيها وسرعان ما تحقق أملها فقد جاءها النبى قائلاً: "إني أريد أن أُحَوِّلَك إليَّ"، فقالت لرسول الله: "فكلم حارثة بن النعمان أن يتحول ـ ينتقل من منزله ـ وأكون إلى جوارك". وكان حارثة كلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول له حارثة عن منزل بعد منزل، حتى صارت منازل حارثة كلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: "يا بنية، قد تحول حارثة عنا حتى استحييتُ مما يتحول لنا عن منازله"، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي، فقال: "يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهى أسقب ـ أقرب ـ بيوت بني النجار بك وإنما أنا ومالي لله ولرسوله والله يا رسول الله للذي تأخذه مني أحبُّ إلىّ من الذى تدع، فقال له الرسول: "صدقت، بارك الله عليك" فحولها رسول الله إلى بيت حارثة.

ذكر ابن حجر في الإصابة عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال :"كانت فاطمة أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأحبهنَّ إليه، وسئلت عائشة رضى الله عنها، كما روى الترمذي في سننه بسند حسنه، قيل لعائشة: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها إن كان كما علمت صوامًا قواما(٣٢).

هكذا كانت رضى الله عنها دائمًا فى كل المواقف معه صلى الله عليه وسلم الابنة الحبيبة الرفيقة الشفيقة المواسية وكيف لا وهي فرع الحنان المتدلي من شجرة

الحنان الكثيفة الوريفة التي أظلت المسلمين ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بحنوها وعطفها ومالها وجهادها حتى صار لها في عنق كل مسلم دَيْن حتى قيام الساعة أنها فاطمة بنت خديجة رضى الله عنهما وعن كل أمهات المؤمنين.

أما ماينفي الأنانية عن السيدة فاطمة لفرحها بمغادرة الدنيا التي فيها الزوج والأولاد هو حديثها مع زوجها علي أحب الناس لقلبها بعد والديها الكريمين حيث رأت أن توصيه وتقبَّل منها وصاياها ونفذها بعد موتها وفاءً لها لأنه كان يعلم أن أمر وفاتها وحياتها ليس في يد أبيها وإن كان رسولاً بل يقف موتها عند حد التبليغ من الرسول الكريم لابنته وغالبًا ما أوجعه وما كان ليبوح لها به إلاَّ لَمَّا رأها تأَذَّت وبَكتْ حين سَارَّها برحيله، كما أنها تعلم كما يعلم زوجها الذي نبَّأهُ الرسول سابقًا أنه شهيد؛ أنهم لم يجربوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هم ولا عامة المسلمين ومادام قال فقد صدق وما عليهما إلا التسليم بقضاء الله كما فعلا فعلاً، ونستشف هذا من الحوار الرقيق الدقيق الأخير عن الرحيل الأكيد فتجد الكلام في موضعه فهي تُوصي بحق لا لتستشف تعلق زوجها بها وحزنه عليها من عدمه، كما أنه لايجاملها أو يخفف عنها بأنها ستتعافى وسيشد الله أزرها ويمد في عمرها مواساةً منه فإن عليًا يعلم أنه لو فعل هذا فإنما يرد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُكَذِبه وحاشاه أن يفعل، ولهذا تعامل مع الموقف تعامل الرجل الحكيم.

وقد أوصت الزهراء رضي الله عنهاـ زوجها علي بن أبي طالب بثلاث وصايا، فقالت: "يا بن عم، إنه قد نُعيتُ إلي نفسي، وإنني لا أرى حالي إلا لاحقةً بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي، فقال رضي الله عنه: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، فقالت رضي الله عنها: يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائفة، ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال رضي الله عنه: معاذ الله! أنت أعلم بالله تعالى، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفًا من الله تعالى، وقد عَزَّ عليَّ مفارقتك وفقدك إلا أنه أمرٌ لابد منه، والله لقد جدَّدتِ عليَّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل فقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون... ثم أوصته رضى الله عنها بثلاث:

أولا: أن يتزوج بأمامة بنت العاص بن الربيع، وبنت أختها زينب رضي الله عنها، وفي اختيارها لأمامة رضي الله عنها قالت:(أنها تكون لولدي مثلي في حنوتي ورؤومتي). وأمامة هي التي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحملها في الصلاة.

ثانيا: أن يتخذ لها نعشًا وصفته له، وكانت التي أشارت عليها بهذا النعش أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وذلك لشدة حياءها رضي الله عنها فقد استقبحت أن تحمل على الآلة الخشبية ويطرح عيها الثوب فيصفها، ووصفه أن يأتى بسرير ثم بجرائد تشد على قوائمه، ثم يغطى بثوب.

ثالثا: أن تدفن ليلًا بالبقيع.

وقد روى الإمام أحمد كيفية وفاتها في حديثٍ ضَعفه أهل العلم عن أم رافع قالت :"اشتكت فاطمة شكواها الذي قبضت فيه، فكنت أمرضها فأصبحت يومًا كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، قالت: وخرج علي لبعض حاجته، فقالت: يا أمه اسكبي غسلا فسكبت لها غسلا، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أمة اعطني ثيابي الجديدة فأعطيتها فلبستها، ثم قالت: يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، ثم قالت: "يا أمة إني مقبوضة الآن... وقد تطهرتُ فلا يكشفني أحد فقبضتْ مكانها، قالت: فجاء علي فأخبرته."

وكذا روى ابن سعد في الطبقات: "أنها غسَّلت نفسها قبل أن تموت، ووصَّت ألّا يغسَّلها أحد لئلا ينكشف جسدها، وأن عليًا دفنها دون غُسل، قال الذهبي عن هذا الكلام في السير: "هذا منكر".

قال الزيلعي في نصب الراية: "واعلم أن الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي العلل المتناهية... وقال: "هذا حديثٌ لا يصح".

وضعفه ابن حزم في المحلي وقال ابن كثير: "غريب جدًا".... أما ابن الأثير فقال في أسد الغابة :"والصحيح أن عليًا وأسماء غسَّلاها".

وقد روى الشافعي والدار قطني وأبو نعيم والبيهقي وحسنه ابن حجر والشوكاني، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن فاطمة رضي الله عنها أوصت أن يغسَّلها علي رضي الله عنه. قال الشوكاني: "ولم يقع من سائر الصحابة إنكار على علي وأسماء، فكان إجماعًا. وأمَّا إنكار ابن مسعود فلا يصح، وعلى هذا جمهور أهل العلم. وذهب الحنفية في الأصح وأحمد في رواية إلى عدم جواز ذلك لانقطاع الزوجية، والأول أصح، لأن الصحابة أفهم لدين الله عز وجل من غيرهم، وهذا الأثر الذي فيه وصية فاطمة يبطل ما قبله، فتعين الأخذ به".

ولقد روى الإمام الذهبي قصة وفاتها في السير عن أم جعفر "أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إني أستقبح ما يُصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها، قالت: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنَتْها، ثم طرحت عليها ثوبًا، فقالت فاطمة ما أحسن هذا وأجمله، إذا متُّ فغسليني أنتِ وعليّ، ولا يدخلن أحد عليّ"... فكانت رضى الله عنها هي أول من غُطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة كما قال ابن عبد البر، وأما أمرها أن لا يصلي عليها أبوبكر وعمر رضي الله عنهما ولا أن يتوليا دفنها، فهذا محض كذب وافتراء.

وهكذا فقد توفيت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، بنت سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم الحسنين رضي الله عنها وأرضاها بعد وفاة أبيها بستة أشهر في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة فدُفنَت ليلاً كما أوصت بعد أن صلى عليها علي بن أبى طالب ونزل في قبرها ومعه العباس والفضل بن العباس رضى الله عنهم أجمعين، قال ابن الأثير في أسد الغابة :"هذا أصح ما قيل". وقال

الذهبي في السير: "وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة"، وأكثر ما قيل: أنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح.

والحق يشهد والواقع يقول بأن زهراء بيت النبوة رضى الله عنها لم تكن الوحيدة التي تمنت اللحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم، بل وحُب الدفن بدياره والموت بجواره، فالدلائل تترى تحكي قصة الشوق للأنس بلقاءه هناك حيث الجنة وحسن المآب من أصحابه صلى الله عليه وسلم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: "أي يوم هذا؟، قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن متُ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٣٣).

قال سعيد بن عبد العزيز: "عندما احتضر بلال رضي الله عنه قالت امرأته : واحزناه، فقال: بل واطرباه غدًا نلقىَ الأحبة محمدًا وصحبه" (٣٤).

وعن الوليد بن مسلم، عن عبدة بنت خالدبن معدان، قالت: "قلما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقَهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يسميهم ويقول: هم أصْلي وفصْلي، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجِّلْ ربِّ قِّبضي إليك. حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك" (٣٥).

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِت ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :"بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي: "إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟"، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً : مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ:أَخْبِرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلامُ، قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِيَ الأَنْصَارِ: لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ، قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللهُ"(٣٦).

روى البخاري عن عمرو بن ميمون أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: "يا عبد الله ابن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمربن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي حزنًا على أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقال: يقرأُ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني، فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحبُ يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهمَ إليَّ من ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم، فقل: يستأذنُ عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين".

شوق الأحبة للحبيب صلى الله عليه وسلم ومراثيهم فيه

الحق يشهد والواقع يقول أن فاطمة لم تكن الوحيدة التي حزنت على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما لم تكن وحدها التي رثته بشعرها المعبر عن فاجعتها فيه، فقد رَثته عماته صلى الله عليه وسلم صفية وعاتكة وأروىَ، فأما من شارك في رثائه صلى الله عليه وسلم فيما أمكن الوصول إليه ـ ثلاثون شاعرًا، ثلاثة عشر من قريش بينهم ثماني نساء، وخمسة من الأنصار، واثنا عشر من سائر القبائل العربية الأخرى. وذلك بحسب احصاء الدكتور محمد أبو المجد على (٣٧).

وقد وقف شعراء كثيرون أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما وقفت ابنته فاطمة رضي الله عنهم ـومن لم يقف منهم تمنى الوقوف وأرسل أمنيته فى قصيدته سواء من المتقدمين أو المتأخرين، فهذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتمسًا لفاطمة العذر فى وقوفها على قبر أبيها وبكائها الثخين عليه فيخاطبها، قائلاً:

أفاطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي فهوالسبيـل
فعودى بالعزاء فإن فيـــــه ثواب الله والفضلُ الجزيلُ
وقولى فى أبيـــك ولاتملى وهل يجزى بفعل أبيك قيلُ
فقبر أبيك سيـد كـل قبـر وفيه سيد النــــاس الرســـول



أما شاعر الرسول حسان بن ثابت فيقول في مرثيته الطويلة مخاطبًا القبرالشريف:

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبـــا ... عليـــه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعيــــــن ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد

كما قال أبو العتاهية راثيًا الرسول صلى الله عليه وسلم:

سلامٌ على قبر النبى محمدٍ ... نبى الهدى والمصطفى والمؤيدِ
نبيٌ هدانــــا اللهُ بعدَ ضلالةٍ ... به لم نكن لولا هـــداهُ لنهتدى
فكان رسولُ اللهِ مِفتاحَ رحمةٍ ... من اللهِ أهداها لكل موحدِ

وكان رسولُ اللهِ أفضل من مشى على الأرض إلا أنه لم يُخلَدِ
شهدتُ على أن لانبوةَ بعدهُ ... وأن ليس حيٌ بعده بمخلدِ

يعلق الدكتور محمود علي مكي (٣٨) على مرثية أبى العتاهية، فيقول:
(ولأبي العتاهية مراثٍ للرسول صلى الله عليه وسلم، تبدو لنا شيئاً فريدًا في عصره، ولرثاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مضي نحو قرنين من الزمان على وفاته دلالة خاصة، لأننا نرى الشاعر فيها يستحضر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كما لو كان قد مات لتوه، ونحسُ في هذه المراثى حبًا وإخلاصًا بعيدين عن التكلف).

كما يهفو لقبر الرسول فى عصرنا قلب الشاعر الطبيب حسن إبراهيم فيقول وهو يقف أمام القبر الشريف على صاحبه الصلاة والسلام: (٣٩)

مشيتُ وفي قلبى وجيبٍ ورهبةٍ إلى خير قبرٍ ضمَ خيرَ رُفاتِ
وهادىً حبي محو مثوى محمدٍ عليه لعمري أطيب الصلواتِ

تعلقت قلوب المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره فأحبوا زيارته وسعوا لها ومن لم يسعه السعى أطلق الزفرات المشتاقة الحارة أبيات شعرية أرسلها مع نسمات الأيام العطرات في ذكرى وفاته ومولده ومع من شرَّفه الله بالحج والعمرة وزيارة مسجد ساكن القبر الشريف صلى الله عليه وسلم تحمل التحيات المعطرات بشوق المثول مثلما حمل الدكتور عائض القرني صديقه هذه التحية(٤٠):

أريج الصبا هل جئت من منبع الرند لعل الشذا يسليك من وحشة البعد
إذا غردت في القاع يوماً حمامة أثارت شجوني فالدموع على الخد
وما ذاك من ذكر الأحبة والهوى ولكنه في القلب أسمى من الوجد
فحي القبور الماثلات تحية وضع قبلة ياصاح منك على اللحد
على خير من مس الثرى بعبيره وأكرم ميت في الورى لف في برد
أبي قاسم كم شيد الله ذكره نبي وما فوق النبوة من مجد
تحية من قد أشغف الحب قلبه وخير سلام من سميع الدعا أهدي
عليه صلاة الله ما أزهر الضحى ولم يعتلق من حب هند ولا دعد

مراثي الشيعة والسنة والمتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم

إن من يطالع القصائد الحارة فى مراثي النبي صلى الله عليه وسلم من كافة المسلمين على اختلاف عصورهم ومشاربهم، سيتكشف له أن قصائد الشيعة غالبًا ما يكون مفتتحها مدح أو رثاء الرسول بينما غايتها الكامنة هى مديح أو رثاء آل البيت والمعصومين من أئمتهم، يشهد بهذا الدكتور محمود على مكي (٤١) حيث يقول: (على أن ما نلاحظه على شعر السيد الحميري، وغيره من شعراء الشيعة، أن تناولهم لجوانب من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصودًا لذاته، بل هو موظَّفٌ لخدمة عقائدهم في آل البيت، فهو مجرد منطلق لهم لكي يبسطوا قضيتهم وحججهم لأحقية أئمة آل البيت في الخلافة) .

ذلك في الوقت الذي يتجرد فيه أهل السنة من هذا النزق؛ فمبتدأ رثائهم ومدحهم وخاتمته هو خالص محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن بدت قصائدهم ـ للوهلة الأولى ـ أقل لوعة وحرقة واشتياقًا لأنها تقوم على العقل أو ما يسمى الرشدنة، بينما يفتقد الصوفية هذا الرشد فتبدو قصائدهم أكثر حرارة وموجدة لأن محبتهم دعائمها العاطفة المحمومة غير الرشيدة التي تستمد سخونتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعات والقصص الموضوعة المدسوسة على سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فلا يستطيع منصف إلا أن يشهد بأن المتصوفة خالفوا الشيعة من حيث كون مدحهم للرسول صلى الله عليه وسلم ومراثيهم فيه إنما غايته حب الرسول ذاته دون أن يخلطوا به حبهم لمشايخهم وأقطابهم وأبدالهم، وهي نظرة تتفق مع أهل السنة حينًا ثم لاتلبث أن تفارقها حين تتبنى مفهوم أزلية الوجود المحمدي وأن هذا الوجود أول شيء



خلقه الله وأن كل موجود يستمد منه، فهو مبدأ الوجود والحياة وأن نوره تجسم في صورة آدم وصور الأنبياء من بعده. وهو يتجسم بعد الرسول في صور الأولياء من أقطاب الصوفية الذين يصلون منه إلى مرحلة الذوبان بما يسمى بالفناء الكلي في الذات العلية، لتجد أنهم ما كادوا يلامسون أهل السنة حتى يميلوا كل الميل تجاه الشيعة فيتجاوز ـ كما قلنا سابقًا ـــ حبهم لمشايخهم وأقطابهم حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا عندهم أصل الأصول للقربى والوصول فيسبحوا بعيدًا بعيدًاعن مرفأ النهج النبوي القويم وإن ظنوا المثول.

يقول الدكتور شوقى ضيف (٤٢): (وكان وراء هذه البيئة الصوفية والبيئة الشيعية السالفة بيئة أهل السنة، لكنها لم تبنِ هذا الإجلال على أفكار المتصوفة والشيعة وماذهبا إليه من قِدَّم النور المحمدي أو من قِدَّم الوجود المحمدي ولم تبنه أيضًا على أنه صورة الذات الإلهية وكل وجود مستعارٌ منه، وإنما بنته على قدسيته وأنه مَثَلٌ أعلى فى الحياتين الدينية والخُلُقية، ومن أجل ذلك تعلقت بلألائه قلوب أهل السنة، ولهجوا بمديحه والثناء عليه بقصائد رنانة أكثروا فيها من الاستغاثة به. وكانوا إذا حجُّوا أو أدَّوا فريضة الحج زاروا قبره الطاهر في ذهابهم أو في إيابهم خاشعين متبتلين).

رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيٌ في قبره

قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها متعلقةٌ بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من نوى منهم زيارته على الأغلب ما قصد فقط زيارة قبره على حدة، ولانوى في دعاء أو رجاء أن يفوز بشرف زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما تبدأ النية بأمنية تتردد في الصدر مشتاقة أن يُكتب لهم الحج هذا العام أو أداء العمرة وهم يعلمون أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ليست من المناسك التعبدية، ولكن زيارته صلى الله عليه وسلم في القلب صريحة وعلى اللسان فصيحة تتشكل في الروح منسكًا منحوتًا قائمًا بذاته تهفو الأفئدة صوامة قوامة في كل حين برجاء أن يجمعها الله به صلى الله عليه وسلم كما جمع الروح بالبدن، ومن ثم تصبح الزيارة صحيحة تمامًا ملتزمة بآدابها ومشروعتيها لمن مر به صلى الله عليه وسلم أو كان بمسجده أو جاء المدينة من خارجها، فهذا هو القصد المستحب: قصد المسجد أصلاً، وزيارة القبر تبعًا، لكن الذي لا يجوز هو السفر لأجل زيارة القبر، فحسن الظن الغالب على أغلب المسلمين أنهم إنمَّا يعلمون أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعلها مخالف للسنة ولإجماع الأئمة كما أنهم يحافظون ألا يغضبوا نبيهم وألاينزل عليهم غضب ربهم كما قال صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"(٤٣).

فليس غاية سفينة المسلم إلا مرفأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مثواه، ولكنه يعلم أن القبر محتواه فأين يلقاه؟! ولقد رأيتُ معظم من زار المدينة غايتهم الصلاة بمسجده على الأكثر وزيارته فى القدوم وعند المغادرة وربما عرجوا أثناء اقامتهم بمدينته المنورة وليس هذا من سوء الأدب ولكنه من تحريرالعقيدة من فساد البدع أولاً، وثانيًا فإنهم يأتنسون بجواره صلى الله عليه وسلم والسير في دروب وطرقات ربوع المدينة الطاهرة وسعيهم للصلاة في مسجد قباء وزيارة البقيع وأُحُد والمساجد التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم بُغية أن يقع قدم على قدم، أو إذا هبت النسائم صافحت حبات تراب طاهرات وجوههم باقية من يوم أحُد أو عند دخوله المدينة مقيمًا، فحيث هم في المدينة فهم معه يجلسون أمام مسجده وهو مغلق من بعد صلاة العشاء في ضيافته صلى الله عليه وسلم ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

فيقينًا هم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غادر دنيانا حيث الرفيق الأعلى، ولكن في قلوبهم يعيش حيًا، لحمًا ودمًا، قرآنًا وسنة، رسالةً وسيرة، اسمًا يسمون به أولادهم ويتلذذون بندائهم إياه، يأتيهم النداء للصلاة تذكيرًا بشهادة نبوته خمس مرات في اليوم والليلة، وفى كل تشهد أوسط وأخير فى صلواتهم، يحيونه ذكرًا دائمًا فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، يعيشونه زيارة للسلام عليه حيث مرقده، وحلمًا يلامس شغاف قلوبهم على أمل رؤياه منامًا، يستبشرون بمن يدعو لهم بالسفر حيث الحبيب، يحيونه مرجعًا وذاكرة مقدسة كلما ذكَّرهم باسمه أحد عندما يغضبون أو ينسون أو يقسمون أو يحزنون فكيف يظن الظان أنه ميت صلى الله عليه وسلم، وكيف يموت وهو يرد عليهم سلامهم صلى الله عليه وسلم، وكيف يموت وهم يعلمون أنه يحيا حياة برزخية فى قبره صلى الله عليه وسلم كما صرح بهذا الكثيرون من أهل السنة بأن النبي صلى الله عليه وسلم حيٌ في قبره حياة برزخية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى، وليست من جنس حياة أهل الدنيا بل هي نوع آخر يحصل بها له صلى الله عليه وسلم الإحساس بالنعيم، ويسمع بها سلام المسلم عليه عندما يرد الله عليه روحه ذلك الوقت.

كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ اللهُ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ"، وخرج البزار بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِيَ السَّلامَ، وأخرج أبو داود بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ".

وهذه الحياة البرزخية أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله عنها سبحانه بقوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٤٤)، وفي قوله عز وجل: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (٤٥). وروحه عليه الصلاة والسلام في أعلى عليين عند ربه عز وجل، وهو أفضل من الشهداء فيكون له من الحياة البرزخية أكمل من الذي لهم، ولكن لا يلزم من هذه الحياة أنه يعلم الغيب أو يعلم أمور أهل الدنيا بل ذلك قد انقطع بالموت لقوله صلى الله عليه وسلم:
"إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ :صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له" (٤٦).

قال الشيخ الإمام عبدالله بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله " والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين: على الإطلاق، وأنه حى فى قبره حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء، للنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب" (٤٧).

وقال الشيخ العلامة عبد الله أبا بطين: "فحياة الأنبياء حياة برزخية، والله أعلم بحقيقتها. والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات بنص القرآن والسنة، ومن شك فى موته فهو كافر" (٤٨).

كما يقول الشيخ ناصر الدين الألباني: "... فحياة الأنبياء بعد الموت حياة برزخية، ولنبينا صلى الله عليه وسلم فيها من الخصائص ما ليس لغيره... ولكن لا يجوز التوسع في ذلك بالأقيسة والأهواء" (٤٩).

ومعنى موته صلى الله عليه وسلم هو أنه كغيره من الأموات "انقطع عمله" عن الدنيا فلم تعد حواسه التى كان يطل بها على الدنيا وعلى من حوله تعمل و إن كانت لم تبل ولم تأكلها الأرض "إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ"... كما جاء فى الحديث.

فيجب علينا الإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ حياة برزخية كما الأنبياء والمرسلين. و إن تلك الحياة البرزخية لا تنافى موته حقيقة.

نعم.. مات وكيف يكون ميتًا صلى الله عليه وسلم وقد ظهر للملك نور الدين زنكي فى رؤيا منامية تناقلها غير واحد من المؤرخين مثل: ابن الأثير، وابن خلكان، ومحمد لبيب البتنوني (٥٠)، وابراهيم رفعت باشا في كتابه: (مرآة الحرمين).. وكذلك مؤلف كتاب (تحفة النصر بتلخيص معالم الهجرة)، يستغيثه صلى الله عليه وسلم أن ينقذه من أولئك الذين أرادوا سرقة جثمانه الطاهر صلى الله عليه وسلم ونقله إلى بلادهم، وقد عصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من أن تمس جسده الشريف يد آثم منهم أو غيرهم. وقد نقل هذه الرؤيا نورالدين على بن أحمدالسمهودي (٥١)، فقال: (أن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ـ ٥٥٧هـ ـ كان له تهجد يأتى به بالليل وأوراد يأتى بها فنام عقب تهجده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: "انجدني! انقذنى! من هذين". فاستيقظ فزعًا ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه ـ أي المنام نفسه ـ فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة فاستيقظ وقال: "لم يبق نوم".

وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: "وما قعودك اخرج الآن إلى المدينة المنورة النبوية واكتم ما رأيت".

فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة فى عشرين نفرًا وبصحبته الوزير ومالٌ كثير، فقدم المدينة فى ستة عشر يومًا. فاغتسل خارجها ودخل فصلى



بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة فى المسجد: "إن السلطان قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وأحضر أموالاً للصدقة، فاكتبوا مَنْ عندكم". فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالإنصراف إلى أن انفضت الناس. فقال السلطان: "هل بقيَّ أحد لم يأخذ شيئًا من الصدقة؟"، قالوا:"لا"، قال: "تفكروا وتأملوا"... فقالوا: "لم يبق إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئًا وهما صالحان غنيان يُكثران الصدقة على المحاويج ـ المحتاجين ـ"، فانشرح صدره وقال: "عليَّ بهما"، فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليهما بقوله: "انجدنى. أنقذني من هذين".

فقال لهما: "من أنتما؟"، فقالا: "من بلاد المغرب، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أصدُقاني"، فصمما على ذلك، فقال: "أين منزلهما؟". فأُخبر بأنهما فى رباط ـ منزل ـ قرب الحجرة الشريفة فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيه مالًا وكُتُبًا في الرقائق، ولم ير شيئًا غير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، وقالوا: "إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة البقيع كل يوم بُكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلًا قط بحيث سَدَّا خُلة أهل المدينة في هذا العام المُجدب"، فقال السلطان: "سبحان الله"، ولم يظهر شيئًا مما رآه. وبقي السلطان يطوف فى البيت بنفسه فرفع حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: "أصدُقاني حالكما". وضربهما ضربًا شديدًا.. فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما الصليبيون في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل لسرقة جثة الرسول صلى الله عليه وسلم فأمر نور الدين بضرب رقابهما، ثم أمر بحفر خندق عظيم حول الحجرة الشريفة من كل جوانبها حتى بلغ الماء وأمر بإذابة رصاص فملأ به الخندق، فصار منه حول الحجرة سور متين لا يستطيع أحد اجتيازه).

قال العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي السعدي الأنصارى:



تواتـــرت الأدلة والنـــقول فما يحصى المصنف مايقولُ
بأن المصطفى حي طـــري هلال ليس يطرقة أفـــــــول
وأن الجسم من بقاع لحـــدٍ كورد لا يدنسه الذبــــــــول
وأن الهاشمى بكُلِّ وصفٍ جميـــــــــلٌ لا يُغَيِّرُهُ الحلولُ
وأنَّ الدودَ لا يأتى إليــــــهِ كذا الآفاتُ ليسَ لها وصولُ
ولم تأكل له الغبـراءُ لحماً ولا عظماً فأَثْبِتْ ما أقـــولُ

فداك أبي وأمي يا رسول الله

صلُوا عليهِ وسَلْمِوُا مهما بِكُمْ بَعُدَ المَدى
يصل إليه سـلامُكُمْ حيٌ ما أفنـاهُ الرَدى
فى كُلِ وَقتٍ اسمهُ مع الآذان تَـــرْدَدَ
وفى الصلاةِ ذكـرهُ لا تخلو منه تَشَـــهُدَ
حيٌ عليه صـلاتُنا وَكُلُنَاَ لَهُ الفِـــدَا

إن إعجاز سيد الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليبدو أكثر مايبدو حين يقول المسلم من عهد الصحابة مخاطبًا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فداك أبي وأمى يارسول الله) إلى مسلم هذا العهد من القرن الواحد والعشرين حين يجأر بها صادقًا من قلبه لترفعها الملائكة إلى مقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: فداك أبى وأمى يارسول الله.

قالت عائشة رضى الله عنها: "بينما نحن جلوس فى بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبى وأمى، والله ما جاء فى هذه الساعة إلاَّ لأمر، قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَك". فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإني قد أذن لي في الخروج"، فقال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يارسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"(٥٢).

وروى أن أبا بكر قال: نظرتُ إلى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دمًا فاستبكيتُ وعلمتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفاء والجفوة وروى أنه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وأنه رأى جحرًا فيه فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه

على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "مالك يا أبا بكر؟"، فقال: لُدِغْتُ فِداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده".

ففي الصحيحين عن أبي ذر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم في ليلة "جعلني الله فداك" مرتين(٥٣).

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: "لما كان يومَ أحُدٍ انـهزمَ الناسُ عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو طلحةَ بينَ يدَي النبيّ صلى الله عليه وسلم مُجوّبٌ عليهِ بحجَفةٍ له، وكان أبو طلحةَ رجلاً رامياً شديدَ النـزعِ، كَسَرَ يومَئذ قوسَينِ أو ثلاثاً، وكان الرجلُ يَمرُّ معه بجعْبةٍ من النّبل فيقولُ: انْثُرها لأبي طلحةَ. قال: ويُشرِفُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ينظرُ إلى القوم، فيقولُ أبو طلحة: بأبي أنتَ وأمي! لا تُشرفْ يُصيبُكَ سهمٌ من سِهام القوم، نَحرِي دُونَ نحرِك" (٥٤).

وعن قيس بن أبي حازم قال: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ"(٥٥).

ونادى النبي صلى الله عليه وسلم بلالًا، وقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك (٥٦).

وقالها الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فداك أبى وأمى ـ يوم أحد عندما وقف سعد بن أبى وقاص يدافع عن رسول الله ويحارب المشركين، ويرميهم حتى نالته دعوة الرسول، حين رآه فسر منه وقال: "يا سعد، ارم فداك أبي وأمي" (٥٧)، فكان سعد يقول: "ما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي، وكانت ابنته عائشة بنت سعد تباهي بذلك وتفخر، وتقول: أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله يوم أحد بالأبوي".

ففي الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير وسعد: "فداك أبي وأمي".

عن زيد بن وهب عن أبي ذر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أبو ذر"، فقلت: "لبيك وسعديك يا رسول الله وأنا فداؤك" (٥٨).

كما روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى أتي فأنظر إليك وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه و سلم شيئًا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (٥٩)، (٦٠).

وقد هجا حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب الذي هجا الرسول صلى الله عليه وسلم:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشركما لخيركما الفداء

كما افتدى الصحابى الجليل سواد بن قارب الدوسي بنفسه ـ نسبة إلى دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران ـ حين قام مقامه الحميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام حينئذ سواد فقال: "يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ومن لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس وقد علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تناول قومًا أبعد منكم فظفر بهم وأوعد قومًا أكثر منكم فأخافهم ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد وكل بلاء منسي إلا بقي أثره في الناس ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين مما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله صلى الله

عليه وسلم خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ولست أدري لعله تكون للناس جولة فإن تكن فالسلامة منها: الأناة والله يحبها، فأحبوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله فقال في ذلك سواد بن قارب وكان رضي الله عنه من أعلم أهل وقته، ورزقنا ثباته:

جلت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد صلى الإله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا أو هل لمن فقد النبي فؤاد؟
كنا نحل به جنابا ممرعا جف الجناب فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا وتصدعت وجدا به الأكباد
قل المتاع به وكان عيانه حلما تضمن سكرتيه رقاد
كان العيان هو الطريف وحزنه باق لعمرك في النفوس تلاد
إن النبي وفاته كحياته الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمدا بذلت له الأموال والأولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها هذا له الأغياب والأشهاد
هذا، وهذا لا يرد نبينا لو كان يفديه فداه سواد

حين يمضي موكب الفداء من عهد صحابته صلى الله عليه وسلم حتى يصل إلى عهد إخوانه صلى الله عليه وسلم ... حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا"، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ"، فَقَالُوا : كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا"(٦١).

نعم... نحن إخوانه صلى الله عليه وسلم وأتباعه الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله"(٦٢).

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَيَعْلَى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ أَخْبَرَهُ قَالَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَشَدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا قَوْمٌ يَكُونُونَ أَوْ يَخْرُجُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ أَعْطَى أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَنَّهُ رَآنِي".

ويجب التنويه والتنبيه والعلم على من يتمنون ويكثرون من قولهم: (لو أدركنا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكنا معه)، أن يتمنى المسلم أن لو أدرك عهده وعاش معه ظنًا أنهم كانوا سيظفرون لو أدركوه بفضل الصحبة، بل يجب عليهم أن يحمدوا الله الذي هداهم وعافاهم، لأنه لا يعلم أحد إذا أدركوه ـ فرضًا ـ أيكونون من أتباعه صلى الله عليه وسلم أم من خصومه حينئذ؟!

ولقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن جبير بن نفير قال جلسنا إلى المقداد بن الأسود يومًا، فمر به رجلٌ فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لوددنا أنّا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلتُ أعجب ما قال إلا خيرًا ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرًا غَيِّبهُ الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامٌ أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم تعرفون ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم، قد كُفيتُم البلاء بغيركم.

نعم... نحن إخوانه صلى الله عليه وسلم وأتباعه وكلنا له الفدا، فمن فم الصديق الطاهر رضي الله عنه: فداك أبى وأمى يارسول الله... نطقتها القلوب الطاهرة في صدور الأطفال والشباب والعجائز من رجال الأمة ونسائها، بنفس إخلاص الصحابة بنفس الحب الصادق الطازج المنير، فهذا من إعجازه صلى الله

عليه وسلم محبة أصحابه ومحبة أتباعه.. حيةٌ دائمةٌ.. حاضرة.. شاهدة.. كاملة.. ربانية.. متصلة.. متواصلة.. متفاعلة.. يَقِظة.. نقولها اليوم وكل يوم كما سيقولها من سيأتى بعدنا:

نفديك بالأرواح ياعلم الهدى.. نقولها كما قالها الدكتور عائض القرنى في قصيدته بقلمه بالنيابة عن قلوبنا، ولسان حالنا شاهدٌ بصدقنا:

نفديك بالأرواح ياعلم الهدي .... نفديك بالأعراض والأعمار
نفديك بالأبناء في زمن الصبا .... نفديك من دكّا إلي دكّار
من دون عرضك ياحبيب قلوبنا .... ضربُ الجماجم من بني المليار
المجدُ يبدأ من محمدِ شامخاً .... وبوجهه يزدانُ كل نهار
والحقُّ يبدأ من محمدِ مثلما .... فاض الضياء بروحه في الغار
والعدلُ يبدأ من محمدِ معلناً .... للناس حق مكانة الأحرار
هو سيد العظماء مامن سيدٍ ....إلا له يعنو بكل وقار....
هو فجرنا هو نورنا هو فخرنا .... هو ذخرنا في البدو والحضّار
ودماؤنا تجري بنبض حديثه .... كالسلسل الجاري من التيار
خفقاتُ أرواح الشعوب بحبّه .... ودموعهم كالهاطل المدرار
فعليه صلي الله ماسطع الضيا... .... .وترنمت ورقاءُ بالأشعار
وعليه صلي الله ماالتف الدجي .... وتردّدت ذكراهُ في الأقطار

إعجاز رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: محبته التى تجمع كل الفرقاء المختلفون فى وسيلة حبه على حبه صلى الله عليه وسلم.

يقول المستشرق هاملتون جب: (ما تزال الاحتفالات العائلية تختم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعًا معًا على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعًا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد) (٦٣).

إنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقعة النور الوضاءة في ثوب الدنيا، بقعة الأمان والمحبة فى أرض الدنيا والآخرة، حوله يتآلف المختلفون، ويتلاقى المتباعدون، عند ذكر اسمه تلهج الألسنة تسبقها القلوب بالصلاة عليه مهما تباينت درجات الالتزام الإيماني، وتفاوتت مراحل التمسك بتوقير شعائر الدين، لكن "محمدًا" في نفس كل منهم هو الجانب الوضيء المضيء الذي لا خلاف عليه ولا خلاف على حبه صلى الله عليه وسلم، ومثلما كانت معجزته حال حياته أن تلتف القلوب حوله رغم اختلاف عظمتها، لازالت معجزته باقية حتى بعد وفاته، تهفو القلوب إليه طائعةً مختارة من العابد ومن العاصي، من العاشق ومن القالي، من الغالي فيه ومن الجافي عنه، تعشقه إن كنت من أمته، ولا يسعك إلا أن تُجِّلهُ إن كنت على غير دينه، فقد أرسله الله لهذا ولذاك، وقلب محمدٍ الرحيم اتسع لحب من هو من شيعته ولبُغض مَنْ فَرَ من رحمته، فلا تزال رحمته في الأرض تفعل فعلها تناشد كل آبقٍ هارب غارق ويظن أنه ناجٍ وهو يسبح بعيدًا عن سفينة محمد..

ورحمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم تَناديه: يا أخي.. اركب معنا.. فُزْ معنا بالله.. انج بنفسك لله.. إنه "محمد" العظمة التى اتسعت آفاقها، وتعددت نواحيها ـــ كما يقول العقاد(٦٤) ـ حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق، وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم والحيلة والصراحة، والألمعية والاجتهاد، وحنكة السن وحمية الشباب... تلك هى بلا ريب عظمة العظمات ومعجزة الإعجاز...

التأدب الواجب مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحرز علماء السلف الصالحين من المناهضين للتوسل ونفي السيادة عن الرسول في الصلاة مخافة جلب الشرك إلى الدين الحنيف، وعدم مشروعية تخصيص قبره بالزيارة بل قصر نية الزيارة على مسجده بما فيه تضعيف حديث عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل هذا جرأ على جناب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من تجرأ، وبات أحيانًا يذكرون اسمه بلا سيادة مما ينافي التوقير له، بل أحيانًا ماينظرون شذرًا لمن ينطق لفظة سيدنا مقرونة باسمه مخافة الظن أنه من الصوفية، وهذا مما يؤاخذهم عليه الصوفية أنفسهم بأنهم يوقرون علمائهم ويضفون عليهم من الألقاب الشئ الكثير بينما عند ذكر سيد ورسول الأمة ينادونه بلا لقب مع ماله من سيادة صلى الله عليه وسلم، حتى عاب عليهم بعض المتصوفة انتهاجهم مثل هذا المسلك بقولهم: (...يسمون النبى بلفظ محمد ـ أي السلفيون ـ هكذا مجردًا بحجة أنه قال: "لاتطرونى إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"، بينما نجدهم يطرون ابن تيمية ويأتون بألقاب كثيرة تسبق اسمه)(٦٥).

أن جمهور الفقهاء ذهبوا أخذًا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأذان الذي تعلمه الرسول من جبريل عليه السلام جاء فيه: " أشهد أن محمدًا رسول الله" وعلى ذلك ذهب مالك وأحمد وأبو حنيفة، ولكن الشافعية أجازوا تسييد الرسول في الأذان . لأن الأدب مع رسول الله واجب فإذا كنا نُسيد من يعلمنا علمًا من العلوم الشرعية والقرآن الكريم فكيف لا نُسيد ــ عقلاً ونقلاً وتأدبًا ــ من نزل على قلبه القرآن وهدانا إلى الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟!

إن السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات على كل مؤمن، وإذا كان الحديث الذي أخذ به الأئمة الثلاثة، يؤخذ من منطوقه عدم سيادة الرسول في الأذان، فأن مفهوم اللفظة وإن كان يُفهم منه لا يُسيد وهو حاضر، إلا أنه حال غيابه صلى الله عليه وسلم له الفضل والسيادة وزيادة.

وقد بحث قسم الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية مسألة تسويد النبى (٦٦) استعرض فيه المسألة من كافة جوانبها بعلمية وحيادية أنقل منه بتصرف أهم ما جاء فيها:

(فإن سيدنا محمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو جوهرة النفوس، وتاج الرؤوس، وسيد ولد آدم أجمعين، ولا يدخل الإنسان دائرة الإيمان إلا بحبه وتعظيمه وتوقيره والشهادة برسالته؛ فهو أحد ركنَي الشهادة؛ إذ لا يقبل الله

تعالى من أحد الوحدانية حتى يَشفَعَها بأنه صلى الله عليه وآله وسلم رسوله إلى العالمين.

وقد عَلَّمَنا الله تعالى الأدب مع سيدنا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حين خاطَب جميع النبيين بأسمائهم، أما هو فلم يخاطبه باسمه مجرَّدًا بل قال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وأمَرَنا بالأدب معه وتوقيره فقال: ﴿إنَّا أَرْسَلناكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرًا * لِتُؤمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلا﴾ (٦٧)، ومِن توقيره تَسوِيدُه عليه الصلاة والسلام كما قال السديُّ:"وتوقروه": أي تُسَوِّدُوه، ذكره القرطبي في تفسيره، وقال قتادةُ: أمَرَ الله بتسويده وتفخيمه وتشريفه وتعظيمه . أخرجه عبد بن حميد وابن جرير الطبري في التفسير، ونهانا عن التقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحذَّرنا مِن رفع الصوت فوق صوته الشريف صلى الله عليه وآله وسلم أو الجهر له بالقول، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٦٨)، ونهانا أن نخاطبه صلى الله عليه وآله وسلم كما يُخاطب بعضُنا بعضًا فقال سبحانه: ﴿لا تَجعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾(٦٩)، قال قتادة: "أَمَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُهَابَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُبَجَّلَ وَأَنْ يُعَظَّمَ وَأَنْ يُسَوَّدَ". أخرجه ابن أبي حاتم وغيره في التفسير. فكان حقًّا علينا أن نمتثل لأمر الله، وأن نتعلم مع حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأدبَ معه، ومن الأدب معه أن نُسَوِّدَه كلما ذُكِرَ، وأن نصلي عليه كلما ذُكِر، وألّا نخاطبه باسمه مجرَّدًا عن الإجلال والتبجيل).

ولا فرق بين النداء والذِّكْر في ذلك؛ فكما يُشرَع استعمالُ الأدب والتوقير والتعظيم عند دعائه صلى الله عليه وآله وسلم يُشرَع كذلك عند ذكر اسمه صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة عليه من غير فرق؛ لوجود العلة في كلا الأمرين، وهي النهي عن مساواته بغيره من المخلوقين، وذلك حاصل في الذكر كما هو حاصل في الخطاب والنداء، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

أجمعت الأمَّة على ثبوت السيادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى عَلَمِيَّته في السيادة، قال الشرقاوي: "فلفظ (سيدنا) عَلَمٌ عليه صلى الله عليه وآله وسلم"،



وأما ما شذَّ به بعضُ مَن تمسَّك بظاهر بعض الأحاديث متوهِّمين تعارضها مع هذا الحكم فلا يُعتَدُّ به، ولذلك اتفق العلماء على استحباب اقتران اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم بالسيادة في غير الألفاظ الواردة المتعبَّد بها من قِبَل الشرع.

كما اتفقوا على عدم زيادتها في التلاوة والرواية:

أما التــلاوة: فإن القرآن كلام الله تعالى لا يجوز أن يزاد فيه ولا أن ينقص منه، ولا يقاس كلام الله تعالى على كلام خلقه.

وأما الروايــة: فإنها حكايةٌ للمَرْوِيِّ وشهادةٌ عليه؛ فلابُدَّ من نقلها كما هي، على أن بعض العلماء نصُّوا على أن هذا بحسب الوضع في الخط، وأما مِن حيث الأداء ـــ حيث يُؤمَن اللبس وإيهامُ الزيادة ـــ فالأَوْلَى أن لا تَعرَى عنها في المَرْوِيِّ وغيره، كما قال الإمام العارف بالله أبو عبد الله الهاروشي المالكي وغيره.

أما بالنسبة للألفاظ الواردة المتعبَّد بها من قِبَل الشرع كالأذان والإقامة وتشهد الصلاة: فمذهب جمهور العلماء والمحققين من أتباع المذاهب الفقهية المعتمَدة وغيرهم أنه يُستحَبُّ اقترانُ الاسم الشريف بالسيادة أيضًا في الأذان والإقامة والصلاة؛ بناءً على أن الجمع بين الأدب والاتباع أَوْلَى من الاقتصار على الاتباع؛ لأن الجمع أَوْلَى من الترجيح، وفي الأدب اتِّباعٌ للأمر بتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم تُخَصَّ منه صلاةٌ ولا أذانٌ ولا إقامةٌ، وقد علَّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُمَّتَه الأدبَ معه حيث أخبر بالسيادة عن نفسه الشريفة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ"، وقال لمن خاطبوه بقولهم: أَنْتَ سَيِّدُنَا: "السَّيِّدُ اللهُ"، ثم قال: "قُولُوا قَوْلَكُمْ، وَلاَ يَسْتَجِرَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ". رواه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما، فأقرَّ ذِكْر السيادة ونبَّه على صحة المعنى بالتحذير من إهمال الفرق بين سيادة المخلوق والسيادة المطلَقة للخالق سبحانه، قال الإمام الخَطّابي: قَوْلُه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ "السَّيِّدُ اللهُ"، أَيْ: السُّؤْدُد كُلّه حَقِيقَة للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الْخَلْق كُلّهمْ عَبِيد الله، وَإِنَّمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَدْعُوهُ سَيِّدًا مَعَ قَوْله: "أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم"؛ لأَنَّهُمْ قَوْمٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالإِسْلامِ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّ السِّيَادَة بِالنُّبُوَّةِ كَما هِيَ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا وَكَانَ لَهُمْ رُؤَسَاء يُعَظِّمُونَهُمْ وَيَنْقَادُونَ لأَمْرِهِمْ، وَقَوْله: "قُولُوا بِقَوْلِكُمْ"، أَيْ: قُولُوا بِقَوْلِ أَهْل دِينكُمْ وَمِلَّتكُمْ وَادْعُونِي نَبِيًّا وَرَسُولاً كَمَا سَمَّانِي الله تَعَالَى فِي كِتَابه وَلا تُسَمُّونِي سَيِّدًا كَمَا تُسَمُّونَ

رُؤَسَاءَكُمْ وَعُظَمَاءَكُمْ وَلا تَجْعَلُونِي مِثْلهمْ؛ فَإنِّي لَسْت كَأَحَدِهِمْ؛ إذْ كَانُوا لَيْسُوا دُونكُمْ فِي أَسْبَاب الدُّنْيَا وَأَنَا أَسودكُمْ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَة فَسَمُّونِي نَبِيًّا وَرَسُولًا.

وخُوطِب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بـ"يا سَيِّدِي" فأقرَّ ذلك ولم ينكره؛ فعن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه قال: مَرَرْنَا بِسَيْلٍ، فَدَخَلْتُ فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ، فَخَرَجْتُ مَحْمُومًا، فَنُمِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا ثَابِتٍ يَتَعَوَّذ"، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي! وَالرُّقَى صَالِحَةٌ؟ فَقَالَ: "لاَ رُقْيَةَ إلاَّ فِي نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ لَدْغَةٍ". رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي في (عمل اليوم والليلة) والحاكم في (المستدرك) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي إقراره صلى الله عليه وآله وسلم لذلك إذْنٌ منه في خطابه وذِكْرِهِ بذلك وأنه أمر مشروع، ولا فرْق في ذلك بين أن يكون داخل الصلاة أو خارجها، بل ذلك في الصلاة أوْلَى؛ لأن الشرع راعى الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة بصورة مؤكَّدة؛ فشرع للمصَلِّي مخاطبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم داخلَ الصلاة وجعلها تبطل بمخاطبة غيره، وأوجب الله تعالى على المصلِّي أن يجيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خاطبه أثناءها ولا تبطل بذلك صلاتُه؛ مبالغةً في الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم ومراعاةً لحرمته وجنابه الشريف، وهذا جارٍ أيضًا في الأذان والإقامة فتخصيصُهما من ذلك لا دليل عليه بل هو على عمومه. بل أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأمر بتسويده عند ذكر اسمه الشريف حيث راجع مَن ذكَرَه مجرَّدًا عن السيادة؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: صَعِد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "مَنْ أَنَا؟" قلنا: رسول الله، قال: "نعَمْ، وَلَكِنْ مَنْ أَنَا؟" قلنا: أنت محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ". [رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه].

وإذا قيل بالترجيح بينهما فالأدب مقدَّم على الاتباع، كما ظهر ذلك في موقف سيدنا علي رضي الله تعالى عنه في صلح الحديبية حيث رفض أن يمحو كلمة "رسول الله" عندما أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحوها، تقديمًا للأدب على الاتباع، وظهر ذلك أيضًا في تقهقر سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصلاة بعد أمْرِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بأن يبقَى مكانه وقال له بعد الصلاة: "ما كانَ لابنِ أبي قُحافةَ أنْ يُصَلِّيَ بينَ يَدَي رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ

وَآلِهِ وَسَلَّم"، وكذلك فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث أخَّر الطوافَ لـمَّا دخل مكَّة في قضية صلح الحديبية مع علمه بوجوب الطواف على مَن دخل مكة؛ أدبًا معه عليه الصلاة والسلام أن يطوف قبله وقال: "ما كُنتُ لأفعَلَ حتَّى يَطُوفَ بِهِ رسولُ اللهِ"، وأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك وجَعَلَه مِن مفاخره ومناقبه؛ فإنه لَمَّا قال الناس: "هنيئًا لأبي عبد الله! يطوف بالبيت آمنًا"، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ". [رواه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" وابن أبي حاتم في "التفسير"].

وهذا هو المعتمد عند الشافعية كما نصَّ عليه العلامة المحقق الجلال المحلي [ت٨٦٤هـ]، والشيخان: ابن حجر الهيتمي [ت٩٧٣هـ] والشهاب الرملي [ت٩٥٧هـ]، وعند الحنفية كما أفتى به العلامة القحفازي [ت٧٤٥هـ]، واعتمده البرهان الحلبي [ت٩٥٦هـ]، والإمام علاء الدين الحَصْكَفي [ت١٠٨٨هـ]، والعلامة الطحطاوي [ت١٢٣١هـ] ، وعند المالكية -كما قال الإمام العارف بالله تعالى أبو الفتح ابن عطاء الله السكندري [ت٧٠٩هـ] وجزم به القاضي ابن عبد السلام [ت٧٤٩هـ] قاضي الجماعة في تونس، وشيخ الإسلام أبو القاسم البرزلي [ت٨٤٤هـ]، والشهاب الحِمْيَرِي القُسَنْطيني الجزائري [ت٨٧٨هـ]، واعتمده الإمام الحطَّاب [ت٩٥٤هـ]، والإمام الأُبِّي [ت٨٢٧هـ] وغيرهم-، ونقله الإمام أبو بكر بن المنذر النيسابوري [ت٣١٩هـ] عن الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه [ت٢٣٨هـ] في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الجنازة، ورجحه العلاّمة محمد بن علي الشوكاني [ت١٢٥٠هـ].

وأجاب الجمهور عمَّا احتجَّ به مَنْ رَجَّح ترك السيادة بأجوبة منها:

١- أن الأدلة الشرعية الدالَّة على وجوب تعظيـم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتوقيره، وتسـويده، والنهي عن مخاطبته، أو ذكره كما يخاطب أو يذكر بعضـنا بعضًا جاءت عـامة لا مخصِّصَ لها، فيُشرَع امتثالُها في كل موضعٍ جرى فيه ذكرُه صلى الله عليه وآله وسلم؛ حملا للمطلَق على المقيَّد، ولم يرد في الشرع ما يُخرِج الأذانَ أو الإقامةَ أو الصلاةَ من ذلك، غاية ما في الأمر أنَّ تَرْك ذِكْرِها في ألفاظ الأذان والإقامة والتشهد في السنة النبوية الشريفة قولا وتقريرًا يدل على عدم وجوبها لا على عدم مشروعيتها؛ جمعًا بين الأدلة الشرعية؛ لأنه لا يُلجَأ إلى الترجيح إلا عند تعذُّر الجمع.

٢ ـ أن كثيرًا من العبادات الشرعية تؤخَذ أحكامها من الأدلة الشرعية المتعددة، منها ما يدل عليها بخصوصه، ومنها ما يدل بعمومه، ومنها ما يدل بمنطوقه، ومنها ما يدل بمفهومه، ولا توجد أحكامها مجموعةً في دليل واحد، فوجوب القراءة في الصلاة مثلا جاء من دليل، وتعيُّن قراءة الفاتحة فيها جاء من دليل آخر، ووجوب أداء الصلاة جاء في القرآن، وأعدادها وأوقاتها وأركانها وركعاتها إنما أُخِذَت من السنة، ولفظ الأذان جاء في حديث، والترجيع فيه أُخذ من حديثٍ آخر... وكذلك في هذه المسألة؛ ألفاظ التشهد والأذان جاءت في موضع، والأمر بتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسويده اعتقادًا ونطقًا جاء في موضع آخر، وليس في كلا الأمرين ما ينافي الآخر أو يناقضه؛ لأن صاحب الشرع الذي علَّم الناس ألفاظ الأذان والتشهد هو الذي ندب إلى أن يُسوَّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويُعظَّم في كل موضع، وهذه الألفاظ قيلت على سبيل التعليم، واستحباب التسويد خرج مخرج التعميم، فيُحمَل المطلَق على المقيَّد، والجمع بين الدليلين ليس زيادةً في الشرع بل هو مقدَّم على العمل بأحدهما وحدَه، فتعيَّن العمل بالأمرين معًا.

٣ ـ أنه لا يصح الاحتجاج بمجرَّد الترك على التحريم أو الكراهة، لا سيما فيما له أصل صحيح متقررٌ في الشرع لا مخصِّصَ له كتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، سواء كان ذلك الترك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو من صحابته الكرام، بل غايته أن يُستَدل به على عدم الوجوب؛ فليس كل ما ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فِعْله يكون حرامًا أو مكروهًا، ومن باب أوْلَى ليس كل ما تَرَكَه السلف حرامًا أو مكروهًا، بل قد يكون تَرْكهم لهم أمْرًا اتفاقيًّا لا مواطأة فيه، وقد يكون لأنه حرام، أو لأن غيره أفضل منه، أو لغير ذلك من الاحتمالات، وما تطرق إليه الاحتمال بَطَلَ به الاستدلال.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف؛ لأن تَرْكهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أو لِمَا هو أفضل منه، أو لعله لم يبلغ جميعَهم عِلْمٌ به.

وقال الإمام أبو سعيد بن لُبٍّ المالكي في الرد على مَن كَرِه الدعاء عقب الصلاة: غاية ما يستند إليه منكر الدعاء أدبار الصلوات أن التزامه على ذلك الوجه لم يكن من عمل السلف، وعلى تقدير صحة هذا النقل فالترك ليس بموجِبٍ لحكمٍ في ذلك المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه، وأمَّا تحريمٌ أو لصوقُ كراهيةٍ بالمتروك



فلا، ولا سيما فيما له أصلٌ جُمْلي متقرر من الشرع كالدعاء. نقلاً عن رسالة السيد الحافظ عبد الله بن الصِّدِّيق الغماري (حسن التفهم والدرك لمسألة الترك).
٤ـ أن ذِكْر السيادة عند اسم الشخص المشرَّف والموقَّر من تمامه وكماله عادةً وعرفًا، سواءٌ في ذلك مخاطبتُه في حضورِه وذكرُه في غيبته، كما أن ترك ألقاب التوقير مما يُلام عليه بحيث قد يتهم فاعل ذلك بمخالفة الأدب، وخاصة في هذه العصور المتأخرة التي صار ذكر السيادة في عُرْف أهلها من لوازم التقدير والاحترام، وقد جاء الشرع الشريف باعتبار العرْف فيما لا يخالف الشرع، فقال سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾(٧٠) ، ومع كثرة ألقاب التفخيم في عصرنا هذا فليس من اللائق أن لا نذكر السيادة مع المصطفى سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ هو الحقيقُ بها في كل موطنٍ يُذكَر فيه صلى الله عليه وآله وسلم.
٥ ـ أن دعوى عدم الورود ليست صحيحة؛ فقد وردت السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

فعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: إذا صلَّيتُم علَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عليه؛ فإنَّكم لا تدرُونَ لعلَّ ذلك يُعْرَضُ عليه "، فَقَالُوا لَهُ: فَعَلِّمْنَا، قال: "قُولوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلاَتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. رواه ابن ماجه في (السنن) وابن جرير الطبري في (تهذيب السنن والآثار) وأبو يعلى في(مسنده)والطبراني في (المعجم الكبير) والدارقطني في (العِلَل) وأبو نعيم في (الحلية) والبيهقي في (الدعوات) و(الشعب)، كلهم من طريق المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة مولى جعدة بن هبيرة المخزومي، عن الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، وحسّنه الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) والحافظ الهيثمي في (إتحاف الخِيَرَة)، وصححه الحافظ مغلطاي.

٦ــ والجواب عمن قصر الأفضلية على التشهد دون الأذان: أن الدليل الشرعي الخارجي الذي دل على استحباب ذِكْر السيادة في التشهد مع عدم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها فيه دالٌّ أيضًا على استحباب ذكرها في الأذان والإقامة من غير فرْق، كما أن المقصود الأعظم من الأذان الإعلامُ بدخول وقت الصلاة، وهذا المقصود لا ينافيه التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه بذكر سيادته الدالَّة على تعظيمه وشرف قدره صلى الله عليه وآله وسلم، ومع تسليم أن ذِكْر السيادة في الأذان زيادة فيه فإن الشرع قد أذن بالزيادة في الأذان عند الحاجة، كما في نادى منادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في الأذان: "صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ"، وكما زاد سيدنا بلال رضي الله عنه التثويب في أذان الصبح وهو قوله: "الصَّلاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ"، وأقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك وقال له: "مَا أَحْسَنَ هَذَا يَا بِلالُ! اجْعَلْهُ فِي أَذَانِك" رواه الطبراني في المعجم الكبير، ولو كانت مثل هذه الزيادة اليسيرة للحاجة غير جائزة في الأذان لأنكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزيادة من حيث هي، فلَمَّا استحسنها كان ذلك دليلا على أن مثل هذا مُغْتَفَرٌ في الأذان، بل أجاز بعض الحنفيَّة وبعض الشَّافعيَّة التَّثويب في الصَّبح والعشاء؛ لأنَّ العشاء وقت غفلة ونوم كالفجر، بل أجازه بعض الشَّــافعيَّة في جميع الأوقات؛ لفرط الغفلة على النَّاس في زماننا، وقد استحدث علماء الكوفة من الحنفيَّة بعد عهد الصَّحابة تثويبًا آخر، وهو زيادة الحيعلتين أي عبارة "حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفلاح" مرَّتين بين الأذان والإقامة في الفجر، واستحسنه متقدِّمو الحنفيَّة في الفجر فقط، وكُرِهَ عندهم في غيره، والمتأخِّرون منهم استحسنوه في الصّلوات كلّها ــ إلا في المغرب لضيق الوقت ــ وذلك لظهور التَّواني في الأمور الدّينيّة، وقالوا: إنَّ التَّثويب بين الأذان والإقامة في الصَّلوات يكون بحسب ما يتعارفه أهل كلّ بلد؛ بالتّنحنح، أو الصّلاةَ الصّلاةَ، أو غير ذلك ، وأجاز جماعة من السلف الكلامَ في الأذان، بل اتفق الفقهاء على جوازه للحاجة إذا كان يسيرًا وأنه لا يبطل به الأذان .

ولفظ "سيدنا" في الأذان أخف من ذلك كله، مع كون الحاجة إلى ذكره أدعَى وأولَى في هذه العصر الذي تعيَّنَتْ فيه الألقاب في ذكر الأسماء والتخاطب بين الناس عرفًا، خاصة لذوي المنزلة والمكانة بينهم، فصح بذلك استحبابُ ذكر السيادة في الأذان والإقامة.

وقد نص على خصوص استحباب ذكر السيادة في الأذان والإقامة المتأخرون من الشافعية؛ كالشيخ الشبراملّسي والجمل والشرواني في حواشيهم الفقهية كما سبق النقل عنهم، وكذلك أفتى به شيخ المالكية في عصره الإمام أبو محمد عبد القادر الفاسي، وكان عليه العمل ببعض مدن الإسلام كالقدس ودِمياط وغيرهما.

وقد ألَّف العلاّمةُ شهاب الدين أحمد بن يونس الحِميَري القُسَنْطيني الجزائري المغربي المالكي [ت٨٧٨هـ] رسالةً في ترجيح ذِكر السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها، كما ذكر الحافظ السخاوي في ترجمته مِن الضوء اللامع، وجاء العلامة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصِّدِّيق الغُمّاري الحَسَنِي رحمه الله [ت١٣٨٠هـ] فألف في هذه المسألة كتابًا حافلاً ماتعًا سماه [تشنيف الآذان بأدلة استحباب السيادة عند ذكر اسمه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة والإقامة والأذان] جَمَع فيه كلَّ ما يتعلق باستحباب ذِكر الاسم الشريف مقترنًا بالسيادة، مقرِّرًا أنه لا تَنافِيَ بين الأدب والاتباع؛ لأن في السيادة اتباعًا للأمر بتوقيره صلى الله عليه وآله وسلم والنهي عن مخاطبته كما يخاطِب الناسُ بعضُهم بعضًا، وليس في الشرع نهي عن تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان أو الصلاة، بل من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أنه هو وحده الذي يمكن أن يخاطبه المصلي دون أن يخرج من صلاته كما سبق.

ومما سبق ومِن النظر في كتب المذاهب الفقهية المعتمَدة يُعلَم أنه ذهب إلى استحباب تقديم لفظ (سيدنا) قبل اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة والأذان والإقامة وغيرها من العبادات جمهور فقهاء المذاهب الفقهية وغيرهم ممن يُعَدُّ اتهامُهم بالبدعة ومخالفة السنَّة نوعًا من الهوى والتعصب المقيت الذي لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

فممن اختار ذلك من السادة الحنفية: النجم القحفازي، والحصكفي، والحلبي، والطَحطاوي، وابن عابدين.

ومن السادة المالكية: سيدي أبو الفتح ابن عطاء الله السكندري، والشهاب الحِميَري، والأُبِّي، والسنوسي، والونشريسي، وأبو العباس البوني، والعقباني، والنَّفراوي، والحَطّاب، وسيدي أحمد زَرُّوق، وابن بردله، والمهدي الفاسي، والعياشي، والنفجروتي، والسملالي، والعلمي، وابن عجيبة، والطيب بن كيران، والشريف القادري، وبدر الدين الحمومي، والشريف الكتاني، والعارف بالله الهاروشي صاحب "كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار"، وغيرهم.



ومن السادة الشافعية: الإمام العز بن عبد السلام، وابن ظهيرة، وابن جماعة، والجلال المحلي، والرمليان الشهاب والشمس، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وابن حجر الهيتمي، والعلامة بافضل، والقليوبي، وابن قاسم العبادي، والزيادي، والحلبي، والنور الشَّبْرَامَلِّسي، والشَّرَوانِي، والبِجِيرِمِي، والمَلِّيباري، والسيد البكري الدمياطي، وابن علاّن، والشرقاوي، وشيخ الإسلام الباجوري، والسحيمي، والجرداني، وغيرهم.

كما نقله الإمام أبو بكر بن المنذر عن الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث إسحاق بن راهويه، ورجحه العلاّمة الشوكاني.

وهذا هو المختار والراجح في مقام سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما عليه الفتوى؛ فالأدب مقدم دائمًا معه صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا عن الأفضلية، أما عن الجواز فكلا الأمرين جائز، والأمر في ذلك واسع، وليس لفريق أن ينكر على الآخر في الأمور الخلافية التي وَسِع مَن قَبلَنا الخلافُ فيها؛ لأنه لا يُنكَر المختلفُ فيه وإنما يُنكَر المتفق عليه، والتنازعُ مِن أجل ذلك لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى ذلك فليس ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان والإقامة والتشهد مقترنًا بالسيادة مخالفًا للشرع، بل فاعل ذلك محمود ومثاب على فعله هذا، ونحن أحوج إلى حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا العصر مِن أي وقت آخر، فنحن في عصر تَمُوج فيه الآراء وتختلف المشارب، وقد كثرت الفتن في الظاهر والباطن، وليس مِن نجاة من كل ذلك إلا بحب سيد الخلق سيدنا محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نعلمه أبناءنا وندعو إليه غيرَنا، ونَبقى عليه إلى أن نَلقى اللهَ سبحانه فيُشَفِّعَه فينا ويُدخِلَنا الجنةَ مِن غير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب.

وقد استشكل بعضُهم زيادة السيادة في خصوص التشهد بأنه حكاية المناجاة بين الله تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في المعراج، ويُجاب عن ذلك: بأن هذا أمر ذوقيٌّ لم يَرِد فيه حديث صحيح، والأحكام الشرعية منوطة بالأسباب والعلل لا بالأذواق والحِكَم؛ فإن المصلِّي إنما يقول التشهد على جهة الإنشاء من نفسه؛ مُحَيِّيًا اللهَ تعالى ومُسَلِّمًا على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم



على نفسه وعلى عباد الله الصالحين وشاهدًا بوحدانية الله تعالى ورسالة سيدنا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يقصد بتشهده الإخبار والحكاية عما وقع في معراجه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم مِن خطابه لربه سبحانه وخطاب ربه له صلى الله عليه وآله وسلم على فرض ورود ذلك وصحته، وهذا المعنى الإنشائي يقتضي مِن المصلي تسويده أيضًا عليه الصلاة والسلام في الشهادة له بالرسالة كما قد نُصَّ عليه أيضًا، مع ملاحظة أن ذلك كله على سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل الحَتم والإيجاب.

ومع ماتقدم فهناك من يتحفظ على الإتيان بلفظ السيادة في الآذان والإقامة، لأنه لم يثبت أن أحداً ممن أذن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أتى بالسيادة فيهما، ولو كانت مشروعة ما تركها أحد منهم ولا أقروا تاركها على تركها، والثابت أن أول من أحدث هذا هو هشام بن عبد الملك (٧١).

يقول الشهيد سيد قطب: ويلتفت إلى ضرورة توقير الرسول صلى الله عليه وسلم عند الاستئذان وفي كل الأحوال فلا يدعى باسمه يا محمد أو كنيته يا أبا القاسم كما يدعو المسلمون بعضهم بعضًا إنما يدعى بتشريف الله له وتكريمه يا نبي الله، يا رسول الله (٧٢).

ومن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد عبدًا ورسولاً فليتبعه ويحبه فمن علامـــــــات محبته إتباعه قولاً وعملًا، ظاهرًا وباطنًا، والرضا بحكمه وإيثاره علي حكـــــم غيره من البشـــر وإن تعارض، ولا يطيع أحدًا في الله إلا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وأيضًا من علامات محبته تعظيمه عند سمـــاع اسمه وذكره مع إظهار الخشوع والخضوع والإنكسار والإكثار من ذكره صلى الله عليه وسلم فذكره يشفي الصـــدور، ويجلي القلوب ويعطر الألسن ومن علامات محبته: نصرة دينه قولاً وفعلاً والتحلي بأخلاقـــه ما أستطعت إلي ذلك سبيلًا، ومن علامات محبته: حب القرآن الذي أتي به واهتدي به وتخلق به ، ومحبة سنته وقراءة حديثه والعمل به، واتباع هديه الكريم.

كما أن من واجب الحب والتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن علم كل مسلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مشروعة في الصلوات في التشهد، ومشروعة في الخطب والأدعية والاستغفار، وبعد الأذان وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند ذكره وفي مواضع أخرى ـ أن لايكتب اسمه صلى الله عليه في كتاب أو مؤلف أو رسالة أو مقال أو نحو ذلك إلا بذكر الصلاة والسلام



عليه ، فأهل العلم من قديم وحديث الزمان يقررون أن المشروع أن تكتب الصلاة والسلام كاملة تحقيقاً لما أمرنا الله تعالى به، وليتذكرها القارئ عند مروره عليها، ولا ينبغي عند الكتابة الاقتصار في الصلاة على رسول الله على كلمة "ص" أو "صلعم" وما أشبهها من الرموز التي قد يستعملها بعض الكتبة والمؤلفين؛ لما في ذلك من مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ مع أنه لا يتم بها المقصود، وتنعدم الأفضلية الموجودة في كتابة "صلى الله عليه وسلم" كاملة. وقد لا ينتبه لها القارئ أو لا يفهم المراد بها، علمًا بأن الرمز لها قد كرهه أهل العلم وحذروا منه.

فقد قال ابن الصلاح في كتابه: "علوم الحديث" المعروف قال ما نصه: (أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره، ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكراره فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته، ومن أغفل ذلك فقد حرم حظاً عظيماً، وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يثبته لا كلام يرويه فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية، ولا يقتصر فيه على ما في الأصل، وهكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو عز وجل وتبارك وتعالى، وما ضاهى ذلك)، إلى أن قال: ثم ليتجنب في إثباتها نقصين: أحدهما: أن يكتبها منقوصة صورة رامزًا إليها بحرفين أو نحو ذلك، والثاني: أن يكتبها منقوصة معنى بألا يكتب "وسلم".

وروي عن حمزة الكناني رحمه الله تعالى أنه كان يقول: (كنت أكتب الحديث وكنت أكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أكتب "وسلم" فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: ما لك لا تتم الصلاة علي؟ قال: فما كتبت بعد ذلك صلى الله عليه إلا كتبت "وسلم")... إلى أن قال ابن الصلاح: قلت: ويكره أيضاً الاقتصار على قوله: "عليه السلام" . المقصود من كلامه رحمه الله تعالى ملخصًا.

وقال العلامة السخاوي رحمه الله تعالى (٧٣) ما نصه: (واجتنب أيها الكاتب "الرمز لها " أي الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطك بأن تقتصر منها على حرفين ونحو ذلك، فتكون منقوصة ــ صورة ــ كما يفعله "الكتاني" والجهلة من أبناء العجم غالباً وعوام الطلبة، فيكتبون بدلاً من صلى



الله عليه وسلم "ص" أو "صم" أو "صلعم" فذلك لما فيه من نقص الأجر لنقص الكتابة خلاف الأولى).

وقال السيوطي رحمه الله تعالى (٧٤): (ويكره الاقتصار على الصلاة أو التسليم هنا وفي كل موضع شرعت فيه الصلاة كما في شرح مسلم وغيره؛ لقوله عز من قائل: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا")، إلى أن قال: (ويكره الرمز إليهما في الكتابة بحرف أو حرفين كمن يكتب "صلعم" بل يكتبهما بكمالها).

كما أن من علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم طاعته، فقد قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد").

وقال الإمام الطحاوي: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

ولقد قال ابن أبي العز: (أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه).

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: (من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.. فمن أحبّ سيد ولد آدم فليُعظّم أقواله وسُننه أكثر من تعظيمه لقول مَن سواه من البشر).

والسؤال الذى يجب أن نسأله لأنفسنا.. هل وقرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما كان يوقره الصحابة رضوان الله عليهم؟.. هل تأدبنا معه صلى الله عليه وسلم بمثل أدبهم معه؟ ولرب داهمنا من يتساءل وكيف كان توقيرهم له وتأدبهم معه صلى الله عليه وسلم؟

لقد كان من توقير الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له: أنهم ما فتئوا يلتزمون الأدب بحضرته، ولا يتكلمون إلا بإذنه.

وفى ذلك قال البراء بن عازب رضي الله عنه يصف حضورهم جنازة يجهز لحدها: (فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير)(٧٥).

وقال أسامة بن شريك رضي الله عنه :(كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسنا الرَخَم، ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب فقالوا: يا رسول الله أفتنا في كذا، أفتنا في كذا)(٧٦).

ولم يكن رضوان الله عليهم يتهيبونه ويهابونه حال حياته أو حال حضوره فقط بل الشاهد أنهم كانوا على مثل تلك الحالة من الهيبة والتوقير حتى بعد أن غادر دنياهم مُختارًا رفيق ربه صلى الله عليه وسلم.

كما روى عمرو بن ميمون فقال: ما أخطأني عشية خميس إلا آتي عبد الله بن مسعود فيها، فما سمعته بشئ قط يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ذات عشية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نكس فرفع رأسه، فرأيته محلول أزرار قميصه، قد انتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، فقال: "أو فوق ذلك أو دون ذلك أو قريبًا من ذلك أو شبه ذلك")(٧٧).

وما كانوا يقرعون بابه صلى الله عليه وسلم إن أرادوه بالأظافير، بل وما كانوا يرفعون أصواتهم رضى الله عنهم بحضرته صلى الله عليه وسلم، وخفضوه أكثر بعد نزول آية الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٧٨).

فقد قال ابن الزبير رضي الله عنهما: فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه خشية حبوط العمل (٧٩).

وواقع الأمر أن تأدبنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يكون نابعًا من المحبة الإيجابية له صلى الله عليه وسلم والتي يجب أن تستلهم نموذجها من فعل الصحابة المتمثل فى تمام الطاعة والانقياد والتسليم كما يحددها بحق ابن القيم حين ينقل مفهوم الأدب والتأدب من إطاره النظرى القلبي واللساني إلى منطقته الحقيقية العملية، فيقول:

(فرأس الأدب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزُبالات أذهانهم، فيوحده



بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه و إمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه (٨٠).

فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة بنص القرآن والسنة و إجماع الأمة، قال تعالى مبينًا وجوب النزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم في كل خلاف:

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٨١)،في هذه الآية يقسم رب العالمين بربوبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم مخاطبًا له في ذلك خطاب التكريم، وقد بينت الآية أن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا بثلاثة أمور لا بد من تحقيقها:

الأول: تحكيمه صلى الله عليه وسلم في كل قضية وقع فيها شجار أو خلاف.

والثاني: عدم وجود حرج أو ضيق من حكمه صلى الله عليه وسلم.

والثالث: التسليم والإذعان والانقياد لحكمه عليه الصلاة والسلام.

وهذه الآية تدل على عظمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى أوجب الانقياد لحكمه وبالغ في ذلك الإيجاب، وبين أنه لا بد من حصول ذلك الانقياد في الظاهر وفي القلب، وذلك ينفي صدور الخطأ عنه صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: (واستدلوا بالآية أيضًا على أن النص لا يعارض ولا يخصص بالقياس، فمن بلغه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ورده بمخالفة قياسه له فهو غير مطيع للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ممن تصدق عليه الخصال الثلاثة المشروطة في صحة الإيمان بنص الآية، ومخالفة نص القرآن بالقياس أعظم جرمًا وأضل سبيلاً، وتدل الآية بالأولى على بطلان التقليد فمن ظهر له حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم في شيء وتركه إلى قول الفقهاء الذين يتقلد مذهبهم كان غير مطيع لله ولرسوله كما أمر الله عز وجل، و إذا قلنا: إن للعامي أن يتبع العلماء فليس المعنى أنه يتخذهم شارعين ويقدم أقوالهم على أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم المنصوصة، و إنما يتبعهم



بتلقي هذه النصوص عنهم والاستعانة بهم على فهمها، لا في آرائهم وأقيستهم المعارضة للنص) (٨٢).

واتكاءً على تفسير المنار ومدلول الآية قال الدكتور عبدالله شاكر (٨٣): (إن كل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه جامعوا الصحاح، أو صححه من يرجع إليه في التصحيح من أئمة الحديث تعيَّن على كل مؤمن بالله ورسوله الأخذ به وقبوله ظاهرًا وباطنًا، وأن لا يلتمس مخارج لرده أو تأويله، ليخرج به عن ظاهره، لمذهب تقلده، أو عصبية نشأ عليها).

فمن ادعى المحبة ولم يقم ببواطنها وظواهرها من توقير الرسول صلى الله عليه وسلم بالقلب واللسان واتباع سنته بتنفيذ أوامره صلى الله عليه وسلم والانتهاء مما نهانا عنه، أو تغليب عقولنا فيما كان صحيحاً عنه ، أو ترك ما أمر به صلى الله عليه وسلم لقول قائل فليحذر وليرجع لأن حرمة النبى صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول ابن العربي ـ ميتًا كحرمته حيًا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ (٨٤).

ويراعى هذا الأدب وهو عدم رفع الصوت أيضًا في مسجده صلى الله عليه وسلم لما أخرجه البخاري بسنده عنْ السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين فجئته بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٥).

ومن الأدب عند قبره صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عند تفسيره هذه الآية: (ومعلوم أنّ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في أيام حياته وبه تعلم أنّ ما جرت به العادة من اجتماع الناس قرب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً كله لا يجوز ولا يليق و إقرارهم عليه من المنكر) (٨٦).

يُجْمِل الشيخ أبى بكر الجزائرى(٨٧) الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى أن يكون:

١ـ بطاعته واقتفاء أثره، وتَرَسُّمِ خُطاهُ في جميع مسالك الدنيا والدين.
٢ـ ألا يُقدِّمَ المسلم على حُبِّهِ وتوقيرِهِ وتعظيمه حُبَّ مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائنًا من كان.
٣ ـ موالاة من كان يوالي، ومعاداة من كان يعادي، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له.
٤ ـ إجلال اسمه وتوقيرهُ عند ذكره، والصلاةُ والسلامُ عليه، واستعظامه وتقديرُ شمائلِهِ وفضائلِهِ.
٥ ـ تصديقُهُ في كل ما أخبر به من أمر الدنيا والدين وشأنِ الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
٦ ـ إحياءُ سُنتِهِ وإظهارُ شَريعَتِهِ، وإبلاغُ دَعوَتِهِ، وإنفاذِ وصاياهُ.
٧ ـ خفضُ الصوتِ عند قبره، وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته، وشَرَّفَهُ بالوقوفِ على قبره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا.
٨ ـ حُبُّ الصالحين وموالاتهم بحُبه، وبغض الفاسقين ومعاداتُهُم بِبُغْضِهِ.

فليتأمل كل مسلم نفسه ويعرض نفسه على شروط التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربما ظن أنه يحسن الأدب دائمًا وهو في الغالب يحسن في ناحية ويسيء في أخرى دون أن يدري، فقد أساء الأدب من يسب الصحابة رضوان الله عليهم أو على الأقل يذكرهم بما لا يليق دون علم أو سند، أساء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أو تناول أمهات المؤمنين بما يُشين ولو حتى تحت ستار البحث العلمي وباطنه ممتلئ حقدًا وسمًا مثل تلك الأقلام المأجورة التي غزت بعض الصحف والتي تتبنى أو تتبناها مذاهب على غير مذهب أهل السنة والجماعة.

أساء الأدب من لم يتدبر سيرته أو قرأها ثم أشاعها في نفسه وأسرته وعمله خُلقًا ومنهاجًا وسلوكًا، أساء الأدب ممن تمذهب بالمذاهب المادية والإلحادية وروَّجَ لها، أساء الأدب من أنكر سنته واتخذ القرآن الكريم حكمًا وحاكمًا وسمى نفسه "القرآني" ووسم باقي المسلمين المتمسكين بسنة وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ "البخاريين" وقصدهم التنقيص من قدر الإمام البخاري ومن قدر الحديث الشريف، أساء الأدب من أشاع الفاحشة، ومن أفتى بغير علم، ومن فرَّق على المسلمين صفوفهم وكلمتهم، أساء الأدب من أنكر الحجاب وكل فرض واجب في الإسلام، أساء الأدب ممن سخر من الذين يعضون

على دينهم بالنواجذ ويتمسكون بأمر السنة النبوية في مظهرهم سواء في الجلباب أو النقاب ومع هذا لا تطرف له عين على الحرمات المنتهكات فلا تسمع له صوت بالإدانة أو الشجب وكأن المألوف هو الباطل.

فالواجب على كل من رضي بمحمدٍ رسولًا واتبعه وآمن به صلى الله عليه وسلم أن يحبه حبًا صادقًا أعظم من حب النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وتصديق ما أخبر به، وامتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، والاهتداء بهديه والاقتداء بسنته والرضا بحكمه والحرص على متابعته، وتوقير حديثه والصلاة والسلام عليه إذا ذُكِرَ اسمه صلى الله عليه وسلم، وعدم رفع الصوت عند ذكره وذكر حديثه، وعدم الضحك وقت تلاوة أخباره وكلامه وآثاره، والخشوع عند ذكر شيء من سنته، والتأدب عند الاستشهاد بقوله، والتسليم عند أمره ونهيه، والإيمان بمعجزاته والذب عن جنابه الشريف وأهل بيته وأصحابه، فالأدب معه صلى الله عليه وسلم شريعة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، والأدب مع شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم بإجلاله وإعزازه وتوقيره وتقديره واحترامه وإنزاله المنزلة التي أنزله الله إياها: لا غلوّ ولا جفاء.

فيا من أساء الأدب.. ويا من أحسن التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مزيد من الأدب.. مزيد من المحبة.. مزيد من الطاعة والاتباع.. فالأمر يستحق.. فمبتدأ معرفتنا بالله "سيدنا محمد" ومنتهى معرفتنا بالله "سيدنا محمد".. ولن يبقى لنا في النهاية غير "سيدنا محمد" و "رب محمد".

الهوامش

(١) (صحيح البخارى ١/٥١٦).
(٢) سورة آل عمران: (١٤٥،١٤٤).
(٣) تفسير القرطبي (٤/٢٢٢).
(٤) عبقرية الصديق صـ٦٨ـ٦٩.
(٥) الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٦.
(٦) سورة الأنعام: (١١٥).
(٧) (مسلم برقم: ١٢٩٧).
(٨) (البخاري برقم: ١٧٤٢).
(٩) عشرة أيام فى حياة الرسول ص١٨٣.
(١٠) أخرجه البزار، والبيهقي في السنن الكبرى وفي دلائل النبوة، وعبد بن حميد في مسنده...
(١١) سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم ص ٩٢.
(١٢) (أخرجه مسلم برقم :٩٧٤).
(١٣)(البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم: ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم : ٢٢٩٦، وما بين الهلالين من صحيح مسلم).



(١٤) (فتح البارى ٧/٣٤٩).
(١٥) (أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الأبواب (٥/٤).
(١٦) سورة النساء: (٦٩).
(١٧) (البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤).
(١٨) (البخاري رقم ٣٦٨٩ ، مسلم رقم ٢٣٩٨) .
(١٩) فتح الباري (٧/٥٠)، شرح النووي (١٥/١٦٦).
(٢٠) فتح البارى (٧/٥١).
(٢١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٣٧).
(٢٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٥٥) .
(٢٣) أعلام الموقعين (٤ / ١١٩) .
(٢٤) [البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم].
(٢٥) [البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠] .
(٢٦) إحياء علوم الدين جـ ١ صـ ٣٠٦.
(٢٨)(حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره) [للاستزادة : انظر الغرر في فضائل عمر للسيوطى].
(٢٩) فتح البارى ٧/٣٧٣.
(٣٠) رواه أبو داوود في السن .
(٣١) رواه الحاكم.
(٣٢) تكلم الذهبي في السير على صحة هذا الحديث وإن كان قد حسنه الترمذي ورواه الحاكم وصححه.
(٣٣) (رواه أحمد و صححه أحمد شاكر) .
(٣٤) (روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/٤٧٥ وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩) .
(٣٥) سير أعلام النبلاء: ٤/٥٣٩، الحلية: ٥/٢١٠، الشفا: ٢/٢١].
(٣٦) (رواه البخاري، ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨) .
(٣٧) مراثى النبى صلى الله عليه وسلم ص ٥٢.
(٣٨) المدائح النبوية ص ٩٤.



(٣٩) من ديوانه: "محمد رسول الله "، دارالشروق ١٩٨٦.
(٤٠) لحن الخلود، ص٥٧.
(٤١) المدائح النبوي ص ٧٣.
(٤٢) فصول في الشعر ونقده، ص٢٣١.
(٤٣) حديث ثابت رواه مالك في الموطأ وغيره .
(٤٤) سورة آل عمران: (١٦٩).
(٤٥) سورة البقرة: (١٥٤).
(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٤٧) [الدرر السنية:١١١٤]
(٤٨) [الدرر السنية:٢|١٦] .
(٤٩) الفوائد الملتقطة في من زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة، ص ٢٥.
(٥٠) الرحلة الحجازية ص ٢٤٧.
(٥١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جـ ١ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
(٥٢) صحيح البخارى : باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ١ /٥٥٣.
(٥٣) (صحيح البخارى٦٤٤٣) .
(٥٤) (رواه البخاري).
(٥٥) (رواه البخاري).
(٥٦) (رواه أحمد وأبو داود من رواية أبي همام عبد الله بن يسار).
(٥٧) [متفق عليه].
(٥٨) (إسناده جيد).
(٥٩) سورة النساء: (٦٩).
(٦٠) (قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران و هو ثقة).
(٦١) (رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن ايوب وغيره - (أخبرنا) أبو الحسن علي بن محمد المقري انبأ الحسن بن محمد بن اسحاق ثنا يوسف بن يعقوب ثنا أبو الربيع ثنا اسمعيل بن جعفر).
(٦٢) (أخرجه: مسلم (٥٠٦٠).
(٦٣) دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٢٥٩ هاملتون جب .
(٦٤) عبقرية محمد ص٨٢.

(٦٥) سلسلة الفتوحات العزمية.. دراسة نقدية لتوحيد السلفية ص١١٦ـ١١٧ .
(٦٦) بحث بعنوان: تسويد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان والإقامة والتشهد بتاريخ ١٦/١١/٢٠٠٨ .
(٦٧) سورة الفتح: (٨-٩).
(٦٨) سورة الحجرات: (١ ـــ ٣).
(٦٩) سورة النور: (٦٣).
(٧٠) سورة الأعراف: (١٩٩).
(٧١) (على من أراد التوسع فليراجع ص ١٨٢ رقم ٨٨٦٨ جـ ٦ فيض القدير . ورقم ٧ صـ ٨ الدين الخالص جـ ١ ، الفتاوى الأمينية جـ ١صـ٤٧) .
(٧٢) في ظلال القرآن: (٤/٢٥٣٥).
(٧٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي .
(٧٤) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي .
(٧٥) رواه أبو داود(٤٧٥٣) وأحمد(٤/٢٨٧).
(٧٦) رواه ابن ماجه(٣٤٣٦) وأحمد(٤/٢٧٨) وصححه ابن حبان(٤٨٦).
(٧٧) رواه مسلم في التمييز(٧) والطبراني في الكبير(٨٦١٧).
(٧٨) سورة الحجرات: (٢).
(٧٩) رواه البخاري (٤٥٦٤).
(٨٠) مدارج السالكين: (٢/٣٨٧).
(٨١) سورة النساء: (٦٥).
(٨٢) تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ج٥/٢٣٨ .
(٨٣) مجلة التوحيد العدد ٧٤ لسنة ٢٠٠٨.
(٨٤) سورة الأعراف: (٢٠٤).
(٨٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد (١/٩٣).
(٨٦) أضواء البيان: (٧/٦١٧).
(٨٧) منهاج المسلم ص ٦٧.

ثبت بأهم المراجع:

أولا: القرآن الكريـــــــــــــم.
ثانيا: كتب السنة الصحيحة الواردة بالهوامش والحواشى.

ثالثا: كتب السير والتراجم:

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر - الطبقات الكبرى لابن سعد- السيرة النبوية لابن هشام - البداية والنهاية لابن كثير - صفة الصفوة لمحمد أبو الفرج - الرياض النضرة للطبري- فضائل الصحابة لابن حنبل - دلائل النبوة للأصبهاني- الاستيعاب لابن عبد البر.

رابعا: تفاسير القرآن الكريم:
القرطبي ـ ابن كثير ـ المنار ـ فى ظلال القرآن ـ أضواء البيان.

خامسا: المصادر والمراجع التالية:

ـ ابن ناصر الدمشقى: سلوة الكئيب بوفاة الحبيب. دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبى.
ـ خالد محمد خالد: عشرة أيام فى حياة الرسول . الطبعة الخامسة، دار المقطم للنشر، مصر ٢٠٠٤.
ـ شوقى ضيف (دكتور): فصول فى الشعر ونقده . الطبعة الثالثة، دارالمعارف، مصر١٩٨٨.
ـ عباس العقاد: عبقرية محمد. نهضة مصر، مصر.
ـ عباس العقاد: عبقرية الصديق . منشورات الكتب العصرية . مصر.
ـ محمد أبو المجد على (دكتور) : مراثى النبى. الطبعة الثالثة، مكتبة الآداب، مصر.

ـ محمود على مكى (دكتور): المدائح النبوية. الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر.
ـ هاملتون جب: دراسات فى حضارة الإسلام . الطبعة الثانية، دارالعلم للملايين، مصر١٩٧٤.



سيرة تعريفية بالكاتب

السيد إبراهيم أحمد

ــــ رئيس تحرير مجلة كنوز الأقلام الثقافية.
ــ نائب رئيس مجلس إدارة صالون المنصورة الثقافي الرياضي العربي.
ــ حاصل على دبلوم الدراسات العليا فى المحاسبة المالية، جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، ودبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالى للدراسات الاسلامية بالقاهرة، بماجستير الإقتصاد الإسلامي.

ــ عضو في إتحاد الكتاب والمثقفين العرب، وشعبة المبدعين العرب التابعة لجامعة الدول العربية، وعضو مؤسس بمؤسسة الإتحاد العالمي للثقافة والآداب ورئيس اللجنة الإعلامية بها، ومنسق إتحاد المثقفين العرب، ومن كتاب ومفكري شبكة الألوكة، والمختار الإسلامي، ومكتبة صيد الفوائد العالمية، ورابطة أدباء الشام، ودار ناشري، وحروف منثورة لنشر الألكتروني، وموقع الحوار المتمدن، وعضو بتجمع ناشرون.

ــ الوظائف:

ــ عمل مديرًا ماليًا وإداريًا بكبريات شركات السياحة في مصر والشرق الأوسط، ثم مارس العمل الصحفي من خلال جرائد البيان العربي، وفرسان السويس، وحديث البلد.

ــــ نال وسام الإبداع وشهادات تقدير من إتحاد الكتاب والمثقفين العرب، وشبكة النور "المختار الإسلامي"، ونال أيضًا درع الملتقى الأول لصالون عزة أبو العز الثقافي عن مجموع أعماله.

ــ مساهماته المرئية:

ــــ قدم الأديب السيد إبراهيم أكثر من ثلاثين حلقة بقناة النيل التعليمية المصرية مأخوذة من مؤلفاته.

- أعد مائة حلقة من برنامج:"مع أسماء الله الحسنى .. فهمٌ وذكر"، وكذا سهرات تليفزيونية عن شهر رمضان الكريم.

ــ أعد عددًا من البرامج الدينية لبعض القنوات، مثل: واحة المستغفرين، لقاء الإيمان، غير كليب عن مناسك الحج، وكليب فى الدفاع عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وشريط دينى للأطفال.

ــــ اعتمدت الجامعة الإسلامية العالمية بالمدينة المنورة، وجامعة الخليل بفلسطين المحتلة، بعض مؤلفاته كمراجع أكاديمية أدرجتها في رسائل الدكتوراه الصادرة عنهما.

ــــ فاز بمسابقة قصص على الهواء بإذاعة هيئة الإذاعة البريطانية BBC والتي قدمتها مسموعة من خلال البرنامج، بالاشتراك مع مجلة العربى الكويتية في مايو ٢٠١٠ عن قصته: (القطار)، والتي اختارها الناقد البحريني الكبير فهد حسين، والذي قال عنها: (قصة فنية تعاملت مع شخصيتين رئيسيتين لإيمان القاص بقدرة القصة على طبيعة استيعاب الشخصيات في القصة، بلغةٍ قصصية جميلة، وتقنيةٍ تعاملت مع القص بشكل فني. وضحت فكرة البُعد التراثي في الفكر التقليدي للعائلات في المجتمع).

ــــ قدمت الدكتورة الأردنية ديانا رحيل أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة اليرموك وفيلادلفيا دراسة نقدية عن المجموعة القصصية ككل، نشرتها بجريدة الدستور الأردنية، بعنوان: الكتابة ومصافحة البؤس الاجتماعي ــ قراءة في مجموعة "طقوس للعودة" للكاتب السيد إبراهيم أحمد.

ــ كتبت الدكتورة رانيا يحي أستاذ النقد الأدبي الحديث بأكاديمية الفنون بالقاهرة مقالة نقدية عن ديوانيه: "إلا الوطن"، "نادر يبحث عن السعادة" نشرتها "المسائية" دار أخبار اليوم القاهرية.
ــ كتبت عنه الباحثة والصحفية ندى السيد دراسة بعنوان: "المرأة في أدب السيد إبراهيم".
ــ ترجمت بعض أعماله إلى اللغة الإنجليزية.
ــ شارك في تحكيم بعض المسابقات الأدبية بالمملكة المغربية عبر منتديات دواوين الدار البيضاء، وحضور بعض الفعاليات الأدبية والفنية مع بعض أدباء وفناني مصر في عدة محافظات مصرية.
ــــ قدم العديد من الدراسات القيمة في النقد الأدبي من خلال تقديم دراسات عن إنتاج بعض الشعراء والروائيين المصريين والعرب منشورة في أكثر من مجلة ودورية علمية.
ــــ أقام معه الشاعر الجزائري ياسين عرعار حوارًا سياسيًا مطولاً على صفحة كاملة بجريدة الحوار الجزائرية.
ــ تغنى بقصائده وأغنياته الدينية الكثير من المبتهلين بالقنوات الفضائية الإسلامية، كما بثتها بعض الإذاعات، و كذلك قدمتها دار الأوبرا المصرية.

ــ إصداراته:
تتناول كتابات الأديب السيد إبراهيم أحمد موضوعات عدة؛ ذلك أن كتبه ودراساته ومقالاته ومحاوراته تتنوع بين الأدب والدين والسياسة، وهذا ما نلحظه عند تصفح عناوينها، ومنها:

**في مجال الدين والدراسات الدينية:

ــ كتاب: "المعجزة المحمدية" .. دار نور للنشر، المنصورة.
ـ كتاب: "محمد صلى الله عليه وسلم .. كما لم تعرفوه".. دار دوِّن للنشر، القاهرة.
ــ كتاب: "السهل المفيد في أحكام التجويد".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.



ـ كتاب : "سياحة الوجدان فى رحاب القرآن".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.
ـ كتاب: "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.
ـــ كتاب: "حبًا في أمي عائشة".. صادر عن شبكة الألوكة، ودار حروف منثورة للنشر.
ــ كتاب: "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم".. شبكة الألوكة، ودار ناشري.
ـــ كتاب: "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ..مهما أساؤوا"..صادر عن دار ناشري بالكويت.
ــ كتاب: "كل مافيه معجزة صلى الله عليه وسلم" .. صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.
ــ كتاب: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قلوبنا"..صادر عن مكتبة صيد الفوائد العالمية.
ــ كتاب: "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، صادر عن شبكة الألوكة.
ــ كتاب: "حراء.. غار النور"".. صادر عن دار ناشري بالكويت.

** في مجال الأدب:

ـــــ كتاب: "حاوروني وحاورتهم"..صادر عن حروف للنشر الإلكتروني.
ــ كتاب: "حوارات عربية".. صادر عن حروف للنشر الإلكتروني.
ــ كتاب: "مع مهندس العروض الرقمي..وقفات وتساؤلات".. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.
ــ كتاب: "حين يعزف القلم.. مقالات" .. صادر عن دار حروف للنشر الإلكتروني.
ـــ مجموعة قصصية "طقوس للعودة" .. صادر عن دار ناشري بالكويت.
ـــ ديوان شعر بالعامية المصرية بعنوان: "إلا الوطن".. صادر عن دار مصر اليوم، القاهرة.

ــــ ديوان شعر للأطفال: "نادر يبحث عن السعادة".. صادر عن دار مصر اليوم بالقاهرة.

ـــــ مسرحية: "المنعطف الأخير".. صادرة عن عن حروف للنشر الإلكتروني.

ــ مسرحية: "العائد الذي ما عاد".. عن حروف للنشر الإلكتروني، ومجلة الفرجة المسرحية المغربية.

ــ الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول.. صادر عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

ــ اختارت دار نور نشر (NOOR PUBLISHING) الألمانية تسعة أعمال دينية من مؤلفاته، وهي: "رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌ في قلوبنا"، "منهاج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "الإعجاز البشري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حراء .. غار النور"، "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"، "حُبًا في أمي عائشة"، "سيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مهما أساؤوا"، "السهل المفيد في أحكام التجويد"، "سياحة الوجدان في رحاب القرآن".

ــ له العديد من المشاركات والحضور من خلال برامج قناة النيل الثقافية، وقناة النيل للأخبار، وقناة القنال، وبعض القنوات الدينية، و إذاعة صوت العرب.

ـ تنشر أعماله: [شبكة الألوكة، مكتبة صيد الفوائد، رابطة أدباء الشام، دار ناشرى للنشر الالكترونى، حروف منثورة للنشر، مجلة الرباط الأدبى التى تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، المستقبل، دنيا الرأى، دنيا الوطن، مجلة الجيل، الأهرام، الفجر نيوز، الواقع، الدلتا، مجلة الفكر الحر، صحيفة الشرق القطرية، المختار الإسلامي، مقالاتي، مكتوب، شبكة أعلام القدس، ألوان عربية، مجلة رؤى مصرية].

ــ للتواصل بالكاتب:

elsayedebrahim22@gmail.com